الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان
كلية الآداب واللغات الأجنبية
قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات علم اللهجات

المستوى: السداسي الثالث
التخصص: لسانيات عربية

المشرف على المقياس: الأستاذ الدكتور أحمد قريش

مدخل:

تعريف اللهجة:

للتفريق بين الفصحى واللهجة لا بد من إعطاء تعريف بسيط للفصحى، الفصاحة: البيان، تقول: رجل فصيح، وكلام فصيح، أي: بليغ، وأفصح: تكلم بالفصاحة، وتفصح الرجل في كلامه، وتفاصح: تكلف الفصاحة.

والفصيح في اللغة: المنطلق اللسان في القول، الذي يعرف جيد الكلام من رديئه، والفصيح: اللسان، الطليق، والكلام العربي .

والعربية الفصحى: عبارة عن لهجة أو مجموعة لهجات لها صفات خاصة، كالإعراب والبيان، وتسمى اللهجة – أحيانا – لغة، ونجده كثيراً في كتب النحو والمعاجم، مثل: لغة هذيل، ولغة طيء[1].

واللهجة، يقال: لَهَج بالأمر لَهَجاً: أولع به واعتاده، واللَّهْجة: طرف اللسان. وجرس الكلام، ويقال: فلان فصيح اللهجة، وهي لغته التي جبل عليها، فاعتادها ونشأ عليها، واللهجة: اللسان. وسمى اللسان لهجة، لأن كلاًّ يلهج بلغته وكلامه[2].

وشاع في كتب اللغويين العرب القدامى مصطلح (لغة) ويعنون به اللهجة فلغة تميم ولغة هذبل ولغة طيئ التي جاءت في المعجمات يريدون بها اللهجة كما أطلق عليها مصطلح اللحن، واللهجة في الاصطلاح هي مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي الى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع افراد تلك البيئة وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تشمل عدة لهجات لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر الاتصال بين افراد هذه البيئات، فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي علاقة العام والخاص، فاللغة تشمل عادة عدة لهجات لكل منها ما يميزها، وهناك أسباب عديدة لنشأة اللهجات منها:

أولا: أسباب جغرافية: يعيش أصحاب اللهجة الواحدة في بيئة جغرافية واسعة تختلف الطبيعة فيها من مكان الى آخر كان توجد حبال او وديان تفصل بقعة عن اخرى بحيث ينشا عن ذلك عزلة مجموعة من الناس عن مجموعة أخرى يؤدي ذلك مع مرور الزمن إلى وجود لهجة تختلف عن لهجة أخرى تنتمي إلى اللغة نفسها.

ثانيا: أسباب اجتماعية: للطبقات الاجتماعية المختلفة تأثير في وجود اللهجات فالطبقة الراقية تتخذ لهجة

([1]) ينظر لسان العرب: محمد مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت: مادة: (ف ص ح).

([2]) نفسه: مادة: (ل هـ ج).

غير لهجة الطبقة الوسطى أو الدنيا وهناك لهجات بحسب طبقات المهن وما إلى ذلك.
ثالثا: اختلاط اللغات: يؤدي الاحتكاك اللغوي إلى نشأة اللهجات كما حصل في المجتمع الاسلامي بعد توسع الفتوحات حيث ظهرت الكثير من اللهجات بعد الاحتكاك بلغات البلدان التي فتحت.
رابعا: أسباب فردية: يختلف أفراد الجنس البشري فيما بينهم في النطق ويؤدي هذا الاختلاف مع مرور الزمن الى تطوير اللهجة أو إلى نشأة لهجة او لهجات أخرى.

أسباب نشأة اللهجات

تعد سعة انتشار اللغة العامل الرئيس في تفرع اللغة إلى لهجات، ولا يؤدي إلى ذلك بشكل مباشر، بل تشاركها عوامل أخرى في تأدية هذه النتيجة، ويمكن إجمال هذه العوامل في التالي:

1) العامل الجغرافي: يعيش أصحاب اللهجة الواحدة في بيئة جغرافية واسعة تختلف الطبيعة فيها من مكان إلى آخر، وينشأ عن ذلك عزلة مجموعة من
الناس يؤدي ذلك مع مرور الوقت إلى ظهور لهجة تختلف عن لهجة أخرى تنتمي الى اللغة نفسها.

2) العامل الاجتماعي: يتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق النظم الاجتماعية، والعرف والتقاليد والعادات، والثقافة ومناحي التفكير والوجدان، واختلاف الطبقات الاجتماعية له تأثير كبير في ظهور اللهجات، فالطبقة الراقية من المجتمع تتخذ لهجة غير لهجة الطبقة الوسطى أو الدنيا، كما تظهر لهجات بحسب المهن والحرف.
3) عامل اختلاط اللغات: يؤدي الاحتكاك اللغوي الى نشأه اللهجات كما هو الحال في المجتمع الاسلامي، فبعد توسع الفتوحات ظهرت الكثير من اللهجات عن طريق الاحتكاك بلغات البلدان التي تم فتحها.
4) العامل الفردي الفيزيولوجي ويتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في التكوين الطبيعي لأعضاء النطق التي لا تحافظ بفعله اللغة على وحدتها الأولى أمدا طويلا.

فانقسام المتكلمين باللغة الواحدة بتأثير العوامل المذكورة إلى جماعات متميزة، واختلاف بعضها عن بعض اجتماعيا، وفي خواصها الجنسية والجسمية وفيما يحيط بها من ظروف طبيعية وجغرافية، يساهم في نشأة لغة عند كل جماعة، ويرسم لتطورها في المستويات (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية).

المستوى الصوتي

حظيت الدّراسة الصوتية – منذ القديم – باهتمام كبير لكون الأصوات تلعب دورا رئيسا في اكتمال النّظام التّواصلي بين أفراد المجتمع البشري، إذ أنّ الطّبيعة الإنسانية تقتضي بالضّرورة العضوية، والنّفسية، والاجتماعية استعمال الصّوت لتحقيق عملية التّواصل[3]. أي أنّ قيمته تكمن في أنّه المادة الأساسية للحدث اللّغوي تنتجه أعضاء التّلفّظ، بحكم أنّ الإنسان يعبّر بالصّوت المنطوق عن الفكر المقصود، وما الكلام إلا تسلسل أصوات معيّنة وفق طريقة مخصوصة [4].

والصّوت اللّغوي عملية حركية يقوم بها جهاز النّطق، وتصاحبها آثار سمعية معيّنة، تأتي من تحريك الهواء بين مصدر إرسال الصّوت، وصوت الكلمة الشمولي، يؤدي بصفة متواصلة، وكأنّه لا يقبل التجزّؤ. لكن داخل هذه الوحدة الصّوتية يمكن إجراء تجزيئات، وتحديد وحدات متتالية صغيرة غير قابلة للتجزّؤ من هذه الوحدات، يطلق عليها الأصوات.

ينبغي أن ندرك من البداية أنّ كلمة "الصّوت" لها معنيان، فهناك المعنى الشّخصي المحض، السّيكولوجي، وكذلك المعنى الموضوعي أو الفيزيائي، وهكذا فإنّ كلمة "الصّوت" يمكن أن تعني الإحساس السّمعي الذي يتوقّف بالطّبع عندما يستبعد العضو الحسّاس للصّوت (الأذن) من المكان، ويمكن أيضا أن يعني الطّاقة التي تصل إلى الأذن من الخارج.

ويرى علماء اللّغة أنّ الأصوات اللّغوية تتكوّن من وحدات مستقلّة، بالإمكان نطق صوت معيّن منعزلا عن غيره من الأصوات بغضّ النّظر عن المعنى الذي يقع فيه، وهذه الأصوات المختلفة، أو الوحدات الصّوتية المستقلّة عن بعضها، والتي يعبّر عنها بصوت واحد، هي ما يطلق عليه علماء اللّغة الغربيون المحدثون "فونيم"، بأنّه "عائلة من الأصوات المترابطة فيما بينها في الصّفات في لغة معيّنة، والتي تستعمل بطريقة تمنع وقوع أحد الأعضاء في كلمة من الكلمات في نفس السّياق الذي يقع فيه أي عضو آخر من العائلة"[5]. أو بعبارة أخرى فهو أصغر وحدة صّوتية خالية من أيّ معنى يمكن تحديده من معنى منطوق، وتحتوي كلّ لغة على عدد محدّد من الفونيمات، ولكن صورها النّطقية الفعلية كثيرة كثرة فائقة[6]. ومن هنا يجب التّفريق بين الصّوت المنطوق، أو ما يشار إليه بـ"allophone" أو"phone"، وبين الفونيم أو ما يسمّى بالصّورة الذهنية للصّوت أو

---

(3) ينظر أساليب الاتّصال والتّغيّر الاجتماعي. محمود عودة، دار المعرفة الجامعية،1998م: 5. وينظر التواصل والاتصال، مختار محمد فؤاد، المجلة الجزائرية للاتصال –الجزائرية– معهد علوم الإعلام، العدد 8، 1992م: 49.

(4) الخفة والسهولة في الحدث اللساني – دراسة تركيبية للبنية اللغوية – ، عبد الحليم بن عيسى، أطروحة جامعية لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تلمسان 2004م: 26.

(5) ينظر دراسة الصوت اللغوي: مختار عمر أحمد، القاهرة: عالم الكتب، ط3، 1985م: 149.

(6) ينظر دروس في علم الأصوات العربية: جان كنتينو، نقله إلى العربية وذيله بمعجم صوتي فرنسي ت عربي: صالح القرمادي، نشريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، 1966م: 135.

الوحدة الصّوتية. و يمكن أن أجمل القول في أنّ أيّ صوت في أيّ لغة يستعمل في كلمة من الكلمات مرّات متكرّرة، ولكن كيفية نطقه قد تختلف من كلمة إلى أخرى، ومن موضع إلى آخر ضمن الكلمة الواحدة اختلافا بسيطا، تلك الفروق التي تلاحظ على الفونيم هي ما يطلق عليه بـ"الألوفونات" أو الصّور المختلفة للفونيم .و كان اللّغويون الغربيون القدامى يستعملون مصطلحين مختلفين في الفرنسية lettre الحرف الصّوتي، وcarectere الحرف الخطّي، ولمّا صار التباس بينهما في الاستعمال تواضعوا على مصطلح جديد لمعنى الأوّل وهو Phoneme عوض Lettre.

ومن هنا يمكن اعتبار الحرف عند القماء، والصّوت اللّغوي عند بعض المحدثين من العرب، والفونيم عند الغربيين مسمّيات لمسمّى واحد (الحرف يساوي الصّوت، يساوي الفونيم)[7].

وتتمثّل الوحدة الصّتية للّغة العربية في حروف الهجاء، التي تنتهي في إطار تصنيفها إلى مجموعتين كبيرتين:

1) مجموعة الصّوامت وهي: ب، م، و، ف، د، ث، ظ، د، ض، ت، ط، ل، ر، ن، س، ز، ص، ش، ج، ي، ق، ك، غ، خ، ع، ح، هـ، ء. وقد قسّمت من جهتها هي كذلك إلى مجموعات فرعية حسب طبيعة الصّوت وميزته إلى:

أ) الانفجارية: تتشكّل بحبس مجرى الهواء المندفع من الرّئتين حبسا تامّا في حيّز من الأحيزة، ثمّ يحرّر فجأة، فيندفع محدثا صوتا انفجاريا. والانفجارية هي: الباء، والتاء، والدال، والطاء، والضاد، والكاف، والقاف، والهمزة.

ب) الصّوامت الاحتكاكية: تقابل Fricatifs -وهو الصّوت الرّخو عند القدماء- تتشكّل بتضييق مجرى الهواء الخارج من الرّئتين في موضع من المواضع، بحيث يحدث الهواء أثناء خروجه احتكاكا مسموعا. والاحتكاكية هي: الفاء، والثاء، والسين، والصاد، والشين، والخاء، والحاء، والهاء، وهذه صوامت مهموسة، والذال، والظاء، والزاي، والغين، ووالعين، وهي صوامت مجهورة .

ج) الصّوامت الانفجارية (الاحتكاكية) أو المركّبة: ويتمّ إنتاجها برفع مقدّم اللّسان نحو الغار فيلتصق به، وبذلك يحجز وراءه الهواء المندفع من الرئتين، ولا يرفع هذا الحجز كما في الأصوات الانفجارية، وإنّما يتمّ بانفصال العضوين ببطيء، فيترتّب عنه احتكاك الهواء

---

(7) ينظر مصطلحات الدراسة الصوتية في التراث العربي ابن مالك آمنة، (الجزائر) رسالة دكتوراه دولة في فقه اللغة جامعة الجزائر، 1987م: 172.

الخارج بالعضوين المتباعدين احتكاكا مماثلا للاحتكاك الذي تتميّز به الشّين المجهورة (ج). ومثل الصّوامت الانفجارية ـ الاحتكاكية ـ الجيم في اللّغة العربية.

د) الصّوامت المكرّرة: تقابل vibrants، يمثّلها في العربية صوت الراء، ويتشكّل بالتّكرار السّريع في لمسات اللّثّة، بحيث يكون اللّسان مسترخيا في طريق الهواء المندفع من الرئتين، وتذبذب الوترين الصّوتيين حالة إصداره.

هـ) الصّوامت المنحرفة أو الجانبية: تقابل latéraux، يمثّلها في العربية صوت اللاّم، ويصدر باعتماد طرف اللّسان على أصول الأسنان العليا مع اللّثة، بحيث يوجد حائل في وسط الفم يحول دون مرور الهواء منه، ولكن مع ترك منفذ لهذا الهواء من جانبي الفم أو من أحدهما. ويتذبذب الوترين الصوتيين عند إصداره.

و) الصّوامت الأنفية أو الغنّاء: وتتشكّل بحبس الهواء حبسا تاما في حيّز من الفم، وبخفض الحنك اللّين يتسرّب الهواء عبر الأنف. وهما: الميم والنون. ونكتفي بهذه الصّفات التي نعتمد عليها أكثر من غيرها في بحثنا هذا، لأنّ هناك صفات أخرى لم نأت على ذكرها، لقد فصلت فيها العديد الأبحاث، ومؤلفات الكثير من علماء الأصوات المتأخّرين منهم على سبيل الذكر إبراهيم أنيس، ومحمود السعران، وكمال بشر وغيرهم .

2) مجموعة الصّوائت: الصّوائت هي المجموعة الثّانية بعد الصّوامت، يصدق عليها ما سمّاه النّحاة بالحركات (الفتحة، والضمّة، والكسرة)، وبحروف المدّ أو اللّين (الألف، والواو، والياء). بيد أنّ علماء الأصوات وقفوا عند أنواع أخرى تبدو من الصّوامت، وهي من الصّوائت والعكس، وهي بما تعرف عندهم بأشباه الصّوائت، وأنصاف الصّوائت.
والاختلاف بين الصّوامت والحركات، يرتبط بطريقة إنتاجها، فالصّوت يصدر من اندفاع الهواء من الرئتين بضغط الحجاب الحاجز، فيأخذ طريقه إلى الخارج عبر الحنجرة والفم، بما يعرف بعملية الزّفير. وقد يتحرّك الوتران الصّوتيان عند مرور الهواء بهما في شكل ذبذبة فينتج الصّوت المجهور، وقد يسكن الوتران فينتج الصّوت المهموس. والجهر والهمس صفتان تشترك فيهما الصّوامت والحركات، وتتحقّق في الفم تفرقة أخرى بين النّوعين، ففي حالة اعتراض جزء من أجزاء الفم الهواء المنبعث من الرئتين عبر الحنجرة سواء أكان اعتراضا تاما[8] أم جزئيا[9] نتج الصّامت، وإذا لم يحدث هذا الاعتراض نتجت الحركة[10].

([8]) كحال إصدار الباء.

([9]) كحال إصدار الثاء والفاء.

([10]) ينظر المنهج الصّوتي للبنية العربية، عبد الصابور شاهين، المرجع السابق، ص 26. وينظر مباحث في علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي، نور الهدى لوشن، المكتبة الجامعية الأزاريطة الإسكندرية، 2000م: 36.

أشباه الصّوائت: هناك مجموعة أصوات أخرى أطلق عليها في اللّسانيات المعاصرة مصطلح: أشباه صوائت، لها بعض خواص الصّوائت من جهة، وبعض ميزات الصّوامت من جهة أخرى، فهو شبه صامت حال وقوعه قبل قمّة المقطع، وهو شبه صائت حال وقوعه بعد القمّة المقطعية، وعُدّت اللاّم، والنون، والميم، والراء، من هذه المجموعة التّي يطلق عليها أيضا الأصوات المائعة التي يقابلها liquides، وتصنّف من أوضح الصّوامت في السّمع. كما أنّها لا تدرج في خانة الأصوات الانفجارية، ولا في خانة الأصوات الاحتكاكية[11].

ويكاد يجمع الباحثون العرب المعاصرون على أنّ العربية الفصحى لم تستخدم في نظامها الفونولوجي من أشباه الصوائت إلاّ اثنين، هما الواو والياء. أمّا القدماء فقد أشار بعضهم إلى وجود نوعين من "الياء"، ونوعين من "الواو".

أدرج إبراهيم أنيس الواو والياء في خانة "أشباه أصوات اللّين" معلّلا ذلك بأنّهما يعالجان علاجا خاصا، لأنّ موضع اللّسان معهما قريب الشّبه بموضعه مع أصوات اللّين (الصوائت). ودلّت التّجارب العلمية الدّقيقة على أنّنا نسمع لهما نوعا ضعيفا من الحفيف". ثم عقد مقارنة صوتية بينهما وبين الضّمة والكسرة تقريبا، والخلاف الفنولوجي بينهما بسيط، وهو أنّ الفراغ بين اللّسان ووسط الحنك الأعلى حين النّطق بالياء يكون أضيق منه حين النّطق بصوت اللّين. وكذلك الواو التّي لا يوجد فرق بينها وبين الضّمة سوى في أنّ الفراغ بين أقصى اللّسان وأقصى الحنك عند النّطق بالواو أضيق منه عند النّطق بالضّمة. ويلحق تمام حسان أشباه الصّوائت بالصّنف الرّابع من الصّوامت "الأصوات المتوسطة" مستخلصا أنّ التّفريق بين "نصفي العلّة" وبين الكسرة والضمّة، يكون عن طريق التّشكيل اللّغوي "فالواو والياء تأتيان بعد صائت وقبله، بخلاف الضّمة والكسرة"[12].

أنصاف الصّوائت: فسّرت الظاهرة الصّوتية لهذه المجموعة ببدء أعضاء النّطق بها في موضع حركة من الحركات، ولكنّها تنتقل من ذلك بسرعة ملحوظة إلى موضع حركة أخرى، ولأجل هذه الانتقال أو الانزلاق، ولقصر قلّة الوضوح السّمعي مقارنة بالصّوائت، عدّت صوامت لا صوائت، بالرّغم ممّا فيها من شبه واضح بالصّوائت. وبشكل أدّق فالاختلاف بين المجموعتين يرتبط بطريقة إنتاجها.

وخلاصة ذلك كلّه أنّ الفونيم في التّعريف الصّوتي اللّساني، هو أصغر وحدة لسانية دالة، ذو جانبين، أحدهما عضوي يتّصل بعملية النّطق، والآخر صوتي يتّصل بصفته.

([11]) ينظر الأصوات اللّغوية: إبراهيم أنيس، القاهرة: مكتبة الإنجلو مصرية، 1975م: 63-64.

([12]) مناهج البحث في اللّغة، تمام حسان، القاهرة، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب 1979، 1400هـ-1979م: 107.

المستوى الصرفي

المستوى الصرفي ويطلق عليه المورفولوجيا الذي يعنى بالاشتقاق والتصريف.
تعتبر الكلمة هي أساس هذا المستوى، فتُبحث من جانب أصلها وصيغتها ووزنها، ومعرفة الزائد والأصلي من أصواتها.
تضمّنت مادة (ص ر ف) في لسان العرب عدّة معاني، فالصّرف ردّ الشّيء على وجهه، صرفه، يصرفه، صرفا، وهو التّقليب، وتصاريف الأمور تخاليفها، ومن تصريف الرّياح والسّحاب[13].

واصطلاحا: هو تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلاّ بها، كاسمي الفاعل والمفعول، واسم التّفضيل، والتّثنية، والجمع[14].

وإنّما التّغيير يحدث في بنية الكلّمة، اعتمادا على عدد الحروف وترتيبها، وحركاتها وسكناتها، وذاك يكون لغرض معنوي، وإذا قصد فيه غرض لفظي فيحدث ذلك بتحويل المفرد إلى المثنى، أو الجمع، أو بزيادة حرف، أو أكثر، أو نقص، أو إبدال، أو إدغام، أو نقل على رأي أبي علي الفارسي[15]، وحدّه ابن جني بخمسة أقسام، وهي: زيادة وحذف، وتغيير بحركة أو سكون، وبدل وإدغام[16].

وكانت هذه المسائل في بداية الأمر ضمن مسائل علم النّحو الّذي تعرف به أحوال الكلم إفرادا وتركيبا، وأبرز ابن جني هذه الصّلة القائمة بين العلمين بقوله: "التّصريف إنّما هو لمعرفة أنفس الكلم ثابتة، والنّحو هو لمعرفة أحواله المتنقلّة"[17].

ومع مرور الوقت أصبح علما قائما لذاته تدور موضوعاته حول تحديد بينة الكلمة، وبيان أصولها وزائدها، أي أنّه يدرس اللّفظة سواء من حيث أنّها اسم معرب، أو فعل متصّرف.

([13]) لسان العرب: ابن منظور، مادة (صرف).

([14]) ينظر شذا العرف في فن الصّرف، أحمد الحملاوي، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1967م: 3.

([15]) ينظر التكملة، وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضدي، ابن أحمد الفارسي (أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي288 – 377هـ)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1984م: 3.

([16]) ينظر الخصائص: ابن جني (أبو الفتح عثمان، تحقيق محمد علي النجار، بيروت(لبنان): عالم الكتب، ط3، دار الكتب المصرية، 1952م: 97/1.

([17]) المنصف، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، ابن جني(أبو الفتح عثمان بن جني)، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1، 1954م: 43/1.

وأمّا الحروف أو الأسماء فهي مبنية، والأفعال الجامدة فهي بعيدة عنه، أي أنّ ميدانه انحصر في دراسة نوعين فقط من الكلمة: الاسم المتمكّن والفعل المتصرّف[18].

ويساهم علم الصّرف بقدر كبير في إنماء اللّغة وإثرائها، فيجعل الكلمة مطاوعة للمعنى الّذي يراد تبليغه بإيجاز في التّعبير، واختصار في الأداء، فكيفي معرفة معاني حروف الزيادة مثلا للتّعبير عن المعنى الحقيقي الّذي نريده من اللّفظة، نحو زيادة الهمزة لتعدية الفعل في العربية الفصحى، نحو: خرج الطالب، أخرجت الطالب. أو زيادة تاء وألف لمشاركة أو تظاهر، نحو قتل – تقاتل، رشق، تراشق. أو زيادة الألف والسين والتاء للطّلب مثل: استغفر، بالإضافة إلى الاشتقاق مع الفعل في أزمانه الثلاثة، والأسماء الأخرى كاسم الفاعل، واسم المفعول، واسم التفضيل، والصفة المشبّهة، وكذلك المصدر بأنواعه المختلفة، والمثنى، والجمع، لأنّ تغيير صيغة اللّفظة تؤدي إلى تغيير في المعنى. وهناك ثلاثة أنواع من التّغيرات التّي تطرأ على صيغة من الصّيغ.

1- تغيير صرفي يخص بالأساس الاشتقاق (تصريف الأفعال، واشتقاق الأسماء).

2- تغيير صرفي صوتي، خاص بتأثير التّغيير الصّوتي في بنية الصّيغة صرفيا في (يفكّ، بقوا).

3- تغيير صوتي خاص بتعامل الأصوات (ازدهر، اتّصل)، فالنوع الأوّل هو الّذي يرتبط بتغيير المعنى واختلاف الصيغة، أمّا النّوعان الآخران فأثرهما بنائي لا معنوي[19].

والعلاقة بين الاشتقاق والصّرف، أنّ الاشتقاق يزيد اللّغة نماء لفظيا يتبعه مباشرة نماء صرفي، أي إذا أخذ الاشتقاق صيغة من أخرى متفقّتين مادة (أصلية) ومعنى، فإنّ التّصريف هو تحليل الكلّمة من بنية إلى أخرى، إمّا بالزيادة، أو الحذف، أو بتغيير الحركات. وحدّد ابن جني هذه العلاقة بقوله: "ينبغي أن يعلم أن بين التّصريف والاشتقاق، شيئا قريبا، واتصالا شديدا، لأنّ التّصريف إنّما هو أن تجيء إلى الكلّمة الواحدة فتصرفها على وجوه شتّى "... فتأتي إلى: ضرب فتبني منه مثل جعفر، فتقول: ضربب، وكذلك الاشتقاق أيضا ألا ترى أنّك تجيء إلى: الضرب الّذي هو المصدر فتشتق منه الماضي

([18]) ينظر التّطبيق الصّرفي، عبده الراجحي، بيروت (لبنان): دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1973م: 9.

([19]) ينظر علم الدّلالة والمعجم العربي، جماعة من الأساتذة، عمان (الأردن): دار الفكر والنشر والتوزيع، ط 1، 1989م:13.

(ضرب)، ثم تشتق منه المضارع (يضرب) واسم الفاعل (ضارب)، فمن هنا تقاربا واشتبكا"[20].

وخلاصة القول أنّ للتّصريف معنيان: علمي وعملي، أمّا العلمي، فهو: تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلاّ بها، كاسمي الفاعل والمفعول، واسم التفضيل، والتثنية، والجمع، ولهذا التغيير أحكام كالصحة، والإعلال، والزيادة، والحذف. أمّا العملي، فهو: علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلّمة التي ليست بإعراب ولا بناء.

المستوى النحوي

إذا كانت الوحدات الصّوتية هي مادة التّحليل الصّوتي، وكانت الوحدات الصّرفية هي مادة التّحليل الصّرفي، فإنّ التّراكيب والجمل تشكّل أساس التّحليل التّركيبي القائم على العلاقات الدّاخلية بين الوحدات اللّغوية، والطّرق التّي تتألّف بها الجمل من الكلمات.

يخضع المستوى التّركيبي للوحدات اللّسانية إلى نوعين من العلاقات هما:

1) العلاقات الجدولية، وهي تصنيف الصّيغ الصّرفية في فصائل نحوية، كالجنس والعدد والشّخص والزّمن... التي لها دور أساس في تشكيل التّرتيب وبنائه.

2) والعلاقة السياقية: وتتمثّل في موقعية الصّيغ الصّرفية، أي في تركيب الفصائل النّحوية، وتنظيمها ورصفها وفق سلسلة الكلام، بحيث أنّها تخضع لقانون التّجاور، ويحدّد بعضها بعضا بما هو موجود، وليس بما يمكن أن يوجد، وتقوم هذه العلاقات السّياقية بتحديد الوظيفة.

وأثبت علماء اللّغة، أن أهمية دراسة اللّغة تتوقّف على الحدّ الأدنى من التّعبير المفيد (الجملة)، الذّي تنطلق منه اللّغة في عملية التّواصل، والتي عرّفها التوليديون بأنّها جهاز أو وسيلة لتوليد جميع الجمل الصّحيحة، وهذا الجهاز يمثل:

1) النّظام النّحوي الذي يتناول البنية العميقة للجملة.

2) القواعد التّحويلية التي تتناول البنية السطحية للجملة.

3) النظام الصّوتي الذي يتناول الكيفية التي تنطق بها الجملة.

([20]) المنصف شرح ابن جني لتصريف المازني، تحقيق إبراهيم مصطفى، وعبدالله أمين، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1، 1954م: 302/1.

4) نظام المعاني الذي يدلّنا على معنى الجملة أو الكلام، باعتبارهما مترادفين، على رأي ما ذهب إليه النحاة المتقدّمون، منهم ابن جني الذي يقول في حدّهما: "أمّا الكّلام[21] فكلّ لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه، وهو ما سمّـاه النّحاة بالجمل"[22]. ويتضمّن القول بإشارة ضمنية توحي ـ بإجماع النحاة الذين سبقوه ـ على أنّ الكلام مرادف للجملة.

وممن تبنّى رأي التّرادف بعد ابن جني، الزمخشري (تـ 538هـ) في قوله: "الكلام هو المركّب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، وذاك لا يتأتّى إلاّ في اسمين كقولك : زيد أخوك، أو في فعل واسم، نحو قولك : ضرب زيد... وتشمل الجمل"[23].

وما يمكن استخلاصه من حدّ ابن جني للكلام ـ الجملة ـ، أنّه يقوم على صفتين لازمتين: الاستقلال والإفادة.

ويرى ابن يعيش (تـ643هـ) في ذلك أنّ: "الكلام عند النّحويين عبارة عن كلّ لفظ مستقلّ بنفسه مفيد لمعناه ويسمّى الجملة"[24]. وذهب ابن الحاجب (تـ646هـ) في قوله أنّ: "الكلام ما تضمّن كلمتين بالإسناد، ولا يتأتّى ذلك إلاّ في اسمين أو فعل واسم"[25]. وعيّنه ابن عصفور الإشبيلي (تـ669هـ) بالوضع في قوله: "الكلام... اللّفظ المركّب المفيد بالوضع"[26]. والغرض من صفة الوضع، هو أن يكون المتكلّم قاصدا الإفادة بكلامه.

([21]) المستعمل من الكلّمة خمسة أصول، بها ضبط ابن جني أصل الكاف واللام والميم، وما نجم عنهما من بنيات مختلفة تؤسس كلّها حيثما تقبل القوّة، والشدّة، والسلطان. 1) "فالكلم للجرح وذلك للشدّة التي فيه". و"الكلام ما غلظ من الأرض، وذلك لشدته وقوّته". 2) وكمل الشيء إذا تمّ، لأنّه "يكون حينئذ أقوى وأشدّ منه إذا كان ناقصا غير كامل. 3) لكمه إذا ضربه بجمع كفّ". 4) والملك لما يعطي صاحبه من القوّة والغلبة. 5) وبئر مكول إذا قلّ ماؤها... فإذا قلّ ماؤها كره موردها وتلك شدّة ظاهرة". هذه التّشاقيق الخمسة ربطها ابن جني بمعانيها المشتركة في القوّة والشدّة، فلا غرو في ذلك أن يكون الكلام الملفوظ وسيلة قوية، وحجّة شديدة في التّواصل. ينظر الخصائص، ان جني، المصدر السابق: 13/1 وما بعدها. وشرح المفصل، لابن يعيش ، المطبعة المنيرية، د.ت: 21/1.

([22]) الخصائص: ابن جني (أبو الفتح عثمان، تحقيق محمد علي النجار، بيروت(لبنان): عالم الكتب، ط 3، دار الكتب المصرية، 1952م: 17/1.

([23]) المفصّل في علم العربية: الزمخشري، بيروت (لبنان): ط2، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة: 6.

([24]) المفصّل: بيروت: عالم الكتب، د ت: 20/1.

([25]) الكافية في النّحو: ابن الحاجب، تحقيق يوسف أحمد المطوع، القاهرة: دار التراث العربي للطباعة والنشر، د ت: 59.

([26]) شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق أبو جناح، العراق: دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1402هـ/1982م: 51.

بينما الجملة عند الأصوليين المتأخّرين، هي أعمّ من الكلام، لأنّهال تضمّ التّركيب المفيد وغير المفيد، أمّا الكلام، فهو عندهم أخصّ، لأنّه يقتصر على التّركيب المفيد فقط، ربمّا كان هذا دافعا إلى القول برأي رولان بارت: "أنّه لا يوجد كلام إلاّ حيث تعمل اللّغة بوضوح"[27]، في تحقيق الفهم، معناه حصول التّواصل بين طرفيه (المتكلّم والمتلقّي).

وخلصت هذه الآراء بتبيانها الجزئي والشّكلي إلى: أنّ الكلام يتركّب من مجموعة متناسقة من المفردات لأداء معنى مفيد، والجملة أصغر صورة لفظية منه، الموضوعة خصيصا للفهم والإفهام. وهي عملية تتشكلّ أجزاؤها في ذهن المتكلّم الذّي سعى في نقلها حسب العرف اللّهجي[28] إلى ذهن السّامع.

المستوى الدلالي

إنّ تحديد المعنى أمر بالغ الأهمية، ودراسته لم تكن مقصورة على علماء اللّغة فحسب، فقضايا المعنى تناولتها علوم أخرى سنتعرض لها باختصار لاحقا، ولابدّ أن يقود هذا الاشتراك في دراسة المعنى إلى تعدّد النّظريات واختلاف المناهج، وإلى تشعّب الوسائل، بل وإلى اختلاطها أيضا.

فقد تحيط بالكلام ملابسات وظروف خاصة، تجعل المعنى مستغلقا صعب الفهم، وقد أشار بلومفيلد الأمريكي إلى مجموعة من هذه الصعوبات، منها اختلاف وجهات النّظر الخاصّة، وتعدّد المواقف التي تستعمل فيها الكلمة، والحالات النّفسية والثّقافية المحاطة بها، وصعوبة استعمال الكلّمات في غير المواقف التي اعتاد عليها أكثر النّاس استعمالها فيها. لأنّ دلالة صيغة لغوية ما، هي المقام الذّي يفصح فيه المتكلّم عن هذه الدّلالة، أو هي الرّد اللّغوي أو السّلوكي الذّي يصدر عن المخاطب[29].

والدّراسة الدّلالية للغة ما، تقوم بحصر جميع المقامات التّي تستعمل فيها هذه اللّغة. والتّحديد العلمي الدّقيق لدّلالة صيغة لغوية معيّنة، يتطلّب معرفة علمية حقيقية بكلّ ما يشكّل عالم المتكلّم. وتحليل معنى الحدث الكلامي يفرض الاستعانة بعلوم لغوية أخرى، كما يفرضها المجال الصّوتي بدوره[30]. فـ(النّبر) يمكن أن يؤثّر في المعنى في كلّ من التّقرير،

([27]) النقد والحقيقة: رولان بارت، ترجمة إبراهيم الخطيب، المغرب: الشركة المغربية للناشرين المحدثين، ط 1، 1985م: 4.

([28]) الذّي يراعي العلاقات الحقيقية القائمة بين المبنى والمعنى.

([29]) ينظر مدخل إلى علم الدلالة: سالم شاكر، ترجمة بحياتين، بن عكنون (الجزائر)، ديوان المطبوعات الجامعية، د ت: 26.

([30]) ينظر علم الدّلالة: أحمد عمر مختار، القاهرة: عالم الكتب، ط2، 1988م: 13.

والاستفهام، والتعجب، وكذا في التّركيب الصّرفي، وبيان المعنى الذّي تؤدّيه الصّيغة خصوصا معاني – اللّواصق واللّواحق - التّي لها أثر كبير في التّغيير الدّلالي.

والوظيفة التّركيبية لكلّ كلمة داخل التّركيب، والمعنى الدّلالي الذّي ينجم عن كلّ حالة، تتزحزح فيها عناصر التّركيب عن مراتبها الأصلية، لأنّ تقديم ما حقه التّأخير، أو تأخير ما حقّه التّقديم، يكون لأغراض كلامية مقصودة.

ويصعّب من دراسة الدّلالات من وجهة نظر "بلومفيلد" عاملان لهما علاقة ببعد اللّغة الاجتماعي:

1) تعدّد القيم الحافلة بدلالة الألفاظ المركزية Connotation، منها: الاجتماعية، والمهنية.

2) دلالة الألفاظ ليست ظاهرة قارّة، بحيث يمكنها أن تتغيّر حسب التّجارب الجديدة يخيّرها المتكلّم.

كما أظهر "بلومفيلد" مدى تعقّد الظّواهر الدّلالية، وإلحاحه أيضا على العلاقة المتينة القائمة بين القول والمقام.

وعلى ضوء هذا كلّه، يمكن تعريف علم الدّلالة بأنّه العلم الذّي يدرس المعنى، أو هو ذلك الفرع الذّي يدرس الشّروط الواجب توافرها في الرّمز حتّى يكون قادرا على حمل المعنى اللّغوي على صعيدي المفردات والتّراكيب، وإلى جانب ارتباط علم الدّلالة بعلوم اللّغة، فإنّ له صلات بعلوم أخرى كالفلسفة والمنطق، وعلى عهد قريب – حوالي ربع قرن- كان اللّغويون يتركون "السيمانتيك" للفلاسفة والأنثروبولوجيين، ثمّ بدأ السيمانتيك يأخذ لنفسه مكانة في علم اللّغة إلى أن تمّ في السنوات الأخيرة وضعه في مكانة مركزية في الدّراسات اللّغوية[31]. كما نالت الدّلالة اهتماما كبيرا عند علماء النّفس لما لها من علاقة بالجانب الفردي الشّخصي أو الذّاتي، حيث كان الإدراك ظاهرة فردية، فقد طوّروا وسائلا ليعرفوا بها كيف يختلف النّاس في إدراكهم للكلّمات، أو في تحديد ملامحها الدّلالية[32] التّي تبقى قبل هذا وذاك عنصرا من عناصر اللّغة[33] الرّامية إلى الإلمام بكلّ الجوانب المترابطة بالفهم الصّحيح للمعنى.

([31]) ينظر علم الدّلالة: أحمد مختار عمر: 15.

([32]) نفسه: 16.

([33]) ينظر دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1963م: 5.

والخصوصيات التّي تميّز كلّ لغة عن أخرى، أو كلّ لهجة عن غيرها بحكم القواعد التّي تحكمها، ومكوناتها الأساسية وطبيعة متحدّيثها، كانت سبب اختلاف وجهة نظر الدّلاليين من حيث المنهجية في تطبيق نظرياتهم الدّلالية.

ونشأة الدّرس الدّلالي عند العرب جاء أوّلا بالبحث في دلالات الكلمات، وكان هذا أهمّ ما لفت اللّغويين وأثار اهتمامهم. ومن الإنجازات المبكّرة في هذا المجال نجد "تسجيل معاني الغريب في القرآن الكريم، مجاز القرآن الكريم، والوجوه والنّظائر...". وحتّى جهد أبي الأسود الدّؤلي في شكل القرآن الكريم يعدّ في حقيقته عملا دلاليا، لأنّ تغيير الضّبط يؤدّي إلى تغيير في المعنى، ولكن هذا لا يعني أن علم الدّلالة قديم، وإنّما قد أثيرت بعض جوانبه في إطار لغوي عام.

والمنهجية المعتمدة عند علماء اللّغة الأوربيين المتعلّقة بعلاقة الدّال والمدلول تندرج ضمن إطار "معالجة قضايا الدّلالة بمفهوم العلم، وبمناهج خاصة، وعلى أيدي مختصّين، وظهرت أوليات هذا العلم في أواسط القرن التاسع عشر[34].

وتضمّن كتاب "محاضرات في الألسنية العامة" لفيردنان دي سوسير أولى المبادرات في هذا المجال اللّغوي، فقد أشار فيه إلى أنّ اللّغة ما هي إلاّ نظام علامات تعبّر عن أفكار، وأنّ اللّسانيات جزء من هذا العلم الذّي يهتمّ بدراسة أنظمة العلامات[35]. كما عارض سوسير أصحاب الصّلة بين الألفاظ والدّلالات، إذ يراها اعتباطية لا تخضع لمنطق أو نظام مطرد.

فالرّابط بين الدّال والمدلول، إنّما هو من قبيل الاصطلاح بين النّاس، إذ أنّ كلّ لفظ يصلح أن يعبّر به عن أي معنى من المعاني.

وقد ركّز بعض اللّغويين على المقام الاجتماعي في تحديد المعنى الدّلالي، فالوصول إلى المعنى في صورته الشّاملة – من وجهة نظر تمام حسان - لا بدّ من استخدام الطّرق "التّحليلية التّي تقدّمها فروع الدّراسات اللّغوية المختلفة: الخاصّة بتحليل المعنى الوظيفي ثمّ المعجمي، كالصّوتيات، والصّرف، والنّحو"[36]. فالمعنى الدّلالي برأيه مرتكز على دعامتين:

1) المعنى المقالي: المكوّن من المعنى الوظيفي، والمعنى المعجمي.

([34]) ينظر علم الدّلالة: أحمد عمر مختار، القاهرة: عالم الكتب، ط2، 1988م: 22.

([35]) إنّها مجموع ما ينجم عن ترابط الدّال بالمدلول، ينظر محاضرات في الألسنية العامة: فاردنان دي سوسير، ترجمة يوسف غازي، مجيد النصر، د ط، الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986م: 89.

([36]) اللغة بين المعيارية والوصفية: تمام حسان، الدار البيضاء (المغرب): دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1980م: 168.

2) والمعنى المقامي: والمكوّن من ظروف أداء المقال، وهي التّي تشتمل على القرائن الحالية أي: "فحين نفرغ من تحليل الوظائف على مستوى الصّوتيات، والصّرف، والنّحو، ومن تحليل العلاقات العرفية بين المفردات ومعانيها على مستوى المعجم، لا نستطيع أن ندعي أنّنا وصلنا إلى فهم المعنى الدلالي، لأنّ الوصول إلى هذا المعنى يتطلّب العنصر الاجتماعي الذّي هو المقام"[37]. وتنطوي تحته عدّة عناصر منها: المتكلّم، والسّامع، والظّروف، والعلاقات الاجتماعية، والأحداث الواردة في الماضي والحاضر.

([37]) اللّغة العربية: مبناها ومعناها، تمام حسان، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979م: 339.

علم اللهجات (Dialectologi)

يعتبر علم اللهجات فرعا من فروع علم اللغة الاجتماعي يهتم بدراسة التنوعات النظامية في لغة ما. وقد استعملت مفردة (اللهجة) لأول مرة في عام 1577م من المفردة اللاتينية dialectus وتعني طريقة معينة في التحدث.

واستعمل بعضهم مفردة (لهجة) لتعني لكنة accent رغم أن مثل هذه المفردة تمثل الجانب اللفظي الوظيفي للهجة. كما أن اللهجات تختلف أيضا في قواعدها ومفرداتها اللغوية.

وبيئة اللهجة جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها المميزة، ويربط بينها مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض. وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها اللغة. فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص، وعندما تتعدد اللهجات في جغرافية لغوية واحدة، يصبح من العسير وضع حدود لهجية بينها، ولا يفهم من ذلك أن اللهجات لا تحدها حدود، بل لكل لهجة مجموعة من الصفات المشتركة التي تميزها عن جارتها.

موضوعه:

يهتم بدراسة الاختلافات في اللغة على أساس التوزيع الجغرافي وما يتصل بها من سمات، أي أنه يهتم بمواضيع من قبيل اختلاف اثنتين من اللهجات المحلية ذات أصل مشترك و تباين زمني. ويتعامل في الأساس مع سكان يعيشون في مناطقهم لعدة أجيال دون أن ينتقلوا، و مع جماعات المهاجرين الحاملة للغاتها إلى مستوطنات جديدة.

اللهجات العربية وجزيرة العرب

تقع جزيرة العرب في الجنوب الغربي لآسيا، وقد سماها أهلها جزيرة لأن الماء يحيط بها من ثلاث جهات في جنوبيها وغربيها وشرقيها؛ فهي شبة جزيرة. ويرى جغرافيو اليونان والرومان أنها ثلاثة أقسام: العربية الصحراوية والعربية الصخرية أو الحجرية والعربية السعيدة، أما العربية الصحراوية؛ فلم يعيِّنوا حدودها، وكانوا يطلقونها على البادية الشمالية، وتمتد شرقًا إلى العراق والحيرة، وكانت تقع في شماليها مملكة تدمر التي حكمتها أسرة الزبَّاء المشهورة. وأما العربية الصخرية فكانوا يطلقونها على شبه جزيرة سيناء والمرتفعات الجبلية المتصلة بها في شمالي الحجاز وجنوبي البحر الميت، وهي التي أقام فيها النبط مملكتهم واتخذوا مدينة سلع[38]. أما العربية السعيدة فكانت تشمل وسط الجزيرة وجنوبيها، أي أنها تجمع القسمين الأول والثاني.

ويقسم جغرافيو العرب الجزيرة إلى خمسة أقسام، هي: تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن، وتهامة هي المنطقة المطلة على البحر الأحمر. وتسمى في الجنوب باسم تهامة اليمن، وكان العرب القدماء يسمونها الغَوْر لانخفاض أرضها، وهي أرض رملية شديدة الحرارة، وتمتد في شرقي تهامة سلسلة جبال السَّراة من الشمال إلى الجنوب فاصلة بينها وبين هضبة نجد ومؤلفة إقليم الحجاز المعروف.

ولهجات العرب في عمومها فصيحة يستشهد بها ويحتج بها في استقراء واستنباط قواعد اللغة.

واعتمد النحو العربي على مفهومين وهما الأصل والفرع، وحدد النحاة الأصل على أنه العنصر الثابت المستمر الذي لا يتغير، والفرع هو الأصل مع الزيادة، ويظهر التنوع في أداء اللهجات.

ومن اللهجات العربية الباقية مجموعتان رئيستان عظيمتان، إحداهما حجازية غربية، أو كما يطلق عليها أحيانا " قرشية " والأخرى "نجدية شرقية " أو كما تدعى أحيانا "تميمية"، فهذه القسمة الثنائية الرئيسة للهجات العربية الباقية هي الحد الأدنى لتلك المجموعة الواسعة من الوحدات اللغوية المنعزلة المستقلة.

أجمع المؤرّخون واللّغويون العرب القدامى على أنّ الواقع اللّغويّ الذي كان سائدا في شبه الجزيرة العربيّة قبل الإسلام وبعده إلى حدود نهاية القرن الرّابع، كان يتّسم بالتعدّد والتّداخل الشّديدين، بحكم التّركيبة القبليّة للمجتمع العربيّ في تلك الفترة وعدم خضوعه لسلطة سياسيّة واحدة إلا بقيام الدّولة الإسلاميّة.

([38]) تاريخ العرب قبل الإسلام: جواد علي "طبع بغداد": 1/ 86.

وكانت لهذا الواقع اللّغويّ أهمية بالغة، لأنّ القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف. وقد اختُلف في تفسير هذه الأحرف السّبعة. لكنّ الغالب على الظنّ أنّ دلالتها رمزيّة، وهي الكثرة. وذلك لأنّ الباحثين وجدوا في لغة القرآن أكثر من خمسين لهجة.

وكذلك الشأن في الحديث النّبويّ الشّريف حيث نجد الرّسول صلى الله عليه وسلم ينطق بألفاظ كثيرة لم يكن يعرفها أهل الحجاز. الأمر الذي دفع عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - يسأله: "يا رسولَ الله ، نحنُ بنو أبٍ واحد، ونراك تُكلِّم وُفود العرب بما لا نَعْرِفه، فمَن عَلَّمك؟".

ولقد كان النّحاة واللّغويّون القدامى على اتصال مباشر وعلى نطاق واسع باللّهجات العربيّة، واختلفت مواقفهم منها. فمنهم من فاضل بينها، حاصرا الفصاحة في قبائل الحجاز ونجد وتهامة. ومنهم ضيّق في صفة الفصاحة فجعلها مقصورة على لهجة قريش. ومنهم من عدّ كلّ اللّهجات العربيّة فصيحة.

ولعلّ من أبرز المتناقضات في هذا الشأن أنّ بعض أولئك النّحاة واللّغويّين قد عدّوا لغة قريش أفصح اللّغات، على الرّغم من أنّ مكة كانت مركزا تجاريا، وكانت قريش تمارس التّجارة على نطاق واسع مع الفرس والهنود واليمنيّين والسّريان وغيرهم، واعتمدوا معايير ذوقيّة للاستنقاص من بعض اللّهجات البدويّة، وتفضيل لهجة قبيلة قريش الحضريّة عليها، مستهجنين بعض الظواهر النطقيّة الخاصّة بتلك اللّهجات على المستوى الصوتي، مثل الكشكشة: وهي نطق الشّين مكان كاف خطاب المؤنّث عند الوقف نحو: " مِنْشْ" بدل "مِنْكْ" أو بعدها، نحو: "مِنْكِشْ" عوضا عن "مِنْكْ"، كما هو الحال عند أسد وهوزان والشّنشنة – وهي ابدال الكاف شينا نحو: " لبّيش" عوضا عن " لبّيك " – وقد اختصّت بها بعض اللّهجات اليمنيّة – والعنعنة: وهي إبدال العين من الهمزة المفتوحة نحو : " عَنّا " بدلا من " أنّ " في لهجات قيس، وقضاعة وتميم- والاستبطاء- وهو نطق العين الساكنة نوناً في الفعل" أعطى" (أنطى). وذلك في لهجات هذيل والأنصار وقيس وأهل اليمن وسعد بن بكر. والكسكسة: وهي زيادة سين بعد كاف الخطاب في المؤنّث لا المذكّر نحو: "أعطيتُكِسْ "بدلا من "أعطيْتُكْ". والتّضجّع: وهو التّباطؤ والتّراخي في الكلام، كما في لغة قيس وتميم وأسد. والطّمطُمانيّة: وهي إبدال لام التّعريف ميما كقول الحميريّين: "طاب امهواء" بدلا من "طاب الهواء". والاصنجاع: وهو إمالة الألف على نحو مشطّ إلى الياء، كما هو الشّأن في لهجات أسد وقيس وتميم. والتّلتلة: وهي كسر حرف المضارعة، نحو: "تِلعب". والقَطْعة: المنسوبة إلى طيء، وهي ضرب من التّرخيم يتجسّد في قطع اللّفظ قبل إتمامه، نحو: "يا أبا صال "بدل" يا أبا صالح". والعَجْعَجَة: وهي نطق الياء المشدَّدة جيماً، نحو: "تميمِجّ" عوضا عن " تميميّ"، وقد نسبت إلى قضاعة. والفَحفَحة: وهي نطق الحاء عَيْناً نحو: "عتّى حين" عوضا عن " حتّى حين" في لغة هُذَيل. والغمغمة: وهي الكلام غير

البيّن المنسوبة إلى قضاعة. والوكْم: وهو جعل ياء أو كسرة قبل الكاف نحو: "عليكِمْ " و"بكِمْ" في لغة ربيعة. والعنعنة: وهي إبدال همزة "أنّ" المفتوحة عيناً وممّن وهي خاصية في لغة قبائل تميم وقيس وقضاعة. والفراتيّة: وهي السّرعة في الكلام تميّزت بها لغة أهل العراق. ولغة "أكلوني البراغيث" عند بني الحارث بن كعب وطيء.

على مستوى الصيغ:

كما هو الحال في لغة هذيل في الجمع على صيغة فعلة (المعتلة والساكنة العين) على فعلات (بفتح العين)، فقالوا في جوزة وبيضة: جوزات وبيضات. بينما استهجن أكثر العرب أن يحركوا العين هنا، لأن الواو والياء إذا حركتا وانفتح ما قبلهما قلبتا ألفين. وأما هذيل فتعتبر الفتحة عارضة، وغير مطردة.

على مستوى التراكيب:

كإعمال الحجازيين لـ "ما" النافية، وقد شبهوها بـ" ليس" فقالوا: "ماهذا بشرا". بينما بنو تميم لا يعملونها.

أمّا في عصرنا الحديث فيكاد كلّ قطر عربيّ يختصّ بلهجة يُعرف بها أهله، فضلا عن وجود أكثر من لهجة في عدة أقطار.

علاقة اللّهجات بالعربية الفصحى:

لقد أجمع الباحثون على أنّ مرحلة الكلام عند الإنسان جدّ متأخّرة بالنّظر إلى مراحل تطوّره، وهم يرجّحون أنّ الإنسان الأوّل اجتهد في النّطق، الذي كان مجرّد مصادفة، ونمت فيه قوة السّمع قبل النّطق، فسمع الأصوات الطّبيعية دون أن يقلّدها، لأنّ ذلك كان يتطلّب منه قدرة عقلية عجز المحدثون أن يتصوّروها للإنسان في هذه المرحلة من حياته، والأهمّ في ذلك كلّه، أنّ هذا المخلوق تمكّن من تجاوز الصعوبات التّي واجهته، وحاول بكلّ ما يملك أن يصدر أصواتا، فكان له ما أراد [39]، إلى أن تشكّلت منها لغات حكمت عليها عوامل جمّة بالحياة والتّشعب والتطوّر، أو بالموت والفناء.

وكلّما ارتحلت اللّغة عبر التّاريخ وتداولتها الأجيال جيلا بعد جيل، اختلفت في مبناها ومعناها، فتبتعد عن بنيتها الأصلية أو تصير ممتزجة، أوقد تذهب كلّية فتنقلب لغة أخرى. وقد كانت اللّغة العربية هي اللّغة الشّرعية Légitime المهيمنة، مادام كانت هي لغة الأقوى، ولمّا امتدّت الدّولة الإسلامية شرقا وغربا، امتزجت اللّغة العربية باللّغات الأعجمية فضمرت ملكتها[40]، كتلك اللّغة الّتي عاصرها ابن خلدون، والتي صارت متغيّرة بالمخالطة، ممتزجة، بعيدة في بعض أحكامها عن لسان مضر بافتقادها حركات الإعراب في أواخر الكلم، وليس ذاك بضائر لها، مادامت اللّغة تختلف باختلاف المستعمل وسياق الاستعمال، وهنا تتجلّى بوضوح المقاربة السيولوجية للّغة التي تربط اللّغة بنية ودلالة بمعطيات اجتماعية وبروابط القوة. فقد ابتعدت لغة عصره عن لغة مضر [41] حتّى انقلبت إلى أخرى مغايرة، لكنّها ظلّت قادرة على تحقيق التّواصل والتّعبير عن المقاصد[42]. ومواكبة لهذا التطوّر دعا ابن خلدون إلى دراسة خصوصيات اللّسان العربي لعهده، الذي نسجه سياق اجتماعي وتاريخي مغاير، والكشف عن القوانين الّتي تخصّه، "ولعلّنا لو اعتنينا

([39]) ينظر الأصوات اللّغوية: إبراهيم أنيس، القاهرة: مكتبة الإنجلو مصرية، 1975م: 11 فما فوق.

([40]) الملكة يقصد بها قدرة المتكلّم على الإبانة عمّا يختلج في نفسه باللّغة العربية السّليمة التي لا يشوبها لحن أو خطأ. وملكة العرب في عهد السّليقة كانت من القوة والدّقة في استعمال التي تعيّن الفاعل من المفعول. ينظر المقدمة، ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن خلدون)، الدار التونسية للنشر، 1984م: 1/ 724.

([41]) اللّسان المضري بقي حاله في كثير من القواعد، ولم يفقد منها إلاّ دلالة الحركلت التي تعين الفاعل من المفعول. ولكن كيف يفهم المقصود وقد التبس الأمر بترك الإعراب ؟ والجواب أنّهم اعتاضوا منها بالتّقديم والتّأخير وبقرائن تدلّ على خصوصيات المقاصد. لسان مضر انقلب إلى لغة أخرى حين خالط العرب العجم لمّا استولوا على ممالك العراق، والشام، ومصر، والمغرب، وصارت ملكته على غير الصّورة التي كانت عليها في البادية. ينظر المقدمة: ابن خلدون: 1/ 716-723- 724.

([42]) نفسه: 724/1.

بهذا اللّسان العربي لهذا العهد واستقرينا أحكامه، نعتاض عن الحركات الإعرابية التي فسدت في دلالتها بأمور أخرى، وكيفيات موجودة فيه، فتكوّن لها قوانين تخصّها لعلّها تكون في أواخره على غير المنهاج الأوّل في لغة مضر، فليست اللّغات وملكاتها مجانا"[43].

واتّفق المهتمّون بدراسة التّواصل الاجتماعي، على أنّ هناك سيرورة مستمرة من التطوّر اللّغوي، تتحدّد بها الحركة الديناميكية لدى جميع الشّعوب، وهذه الحركة ليست على وتيرة واحدة في كلّ المجتمعات البشرية، مادامت هناك عوامل جمّة تسهم في تسريعها أو الحدّ منها، وتأتي الحاجة البشرية إلى الخفّة والسّرعة في التّواصل في طليعة تلك العوامل المساعدة، لهذا شهدت بعض المجتمعات تحوّلات كبيرة رافقتها تبدّلات اجتماعية، كان لها الدور الأساسي في خلق تعابير تواصلية أسهل، يتفاعل معها المجتمع بمستويات متمايزة وبإشكال متعدّدة، وبمواقف تراوحت بين القبول والتّرحيب، والتّحفظ والرفض.

وإذا كانت اللّغة مجموعة أصوات تؤدّي دورا وظيفيا في التّعبير بواسطة جهاز صوتي عن حاجة النّاس، فهي تختلف في دورها الغائي باختلاف الأقوام[44]، وتكرّر هذا التّعريف بمعناه العام والشّامل عند كثير من العلماء القدماء والمحدثين. "فاللّغة أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم"[45].وأنّها "قدرة ذهنية مكتسبة يمثّلها نسق يتكوّن من رموز اعتباطية منطوقة يتواصل بها أفراد مجتمع ما"[46].

"وقرع الشفاه أحد المظاهر فيها"[47] ثمّ يتوسّع التّعريف عند بعضهم على أنّها (اللّغة) أكثر من تصويت أو قرع شفاه فهي: "صورة وجود الأمة بأفكارها، ومعانيها، وحقائق نفوسها وجودا متميّزا قائما بخصائصه"[48].

([43]) السابق: 725/6.

([44]) ينظر اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي: رياض قاسم، بيروت (لبنان): مؤسسة نوفل، ط 1، 1982م: 112.

([45]) الخصائص، ابن جني، (أبو الفتح عثمان بن جني)، تحقيق محمد علي النجار، بيروت (لبنان) : عالم الكتب، ط 2، دار الكتب المصرية، 1958م: 33/1.

([46]) ينظر اللغة والحياة والطبيعة البشرية: روي جهمان roy si haugman، ترجمة داود حلمي، وأحمد السيّد، الكويت، 1989م: 15.

([47]) دفاعا عن اللّغة العربية: كمال يوسف الحاج، منشورات عويدات، ط1، 1959م: 73.

([48]) وحي القلم: مصطفى صادق الرافعي، الجزائر: منشورات المونم، 1991م: 3/ 36.

ويجمع اللّغويون المحدثون على أنّ أهم معالم كلّ لغة مشتركة[49] تتلخّص في الصّفتين التّاليتين:

1- المستوى اللّغوي الأرقى من مستوى لهجات الخطاب، واستقرّ أمرها على قواعد ونظم لا تسمح لها بالتغيّير أو التطوّر إلاّ قليلا.

2- اللّغة المشتركة، وإن تأسّست في بدء نشأتها على لهجة منطقة معيّنة، قد فقدت مع الزّمن، أو نسي المتكلّمون في أثناء استعمالها كلّ المنابع الّتي استحدثت منها عناصرها، وأصبح لها كيان مستقلّ. وقد سبق أن فرّق ابن خلدون بين ثلاثة أنواع من اللّغات، لغة مضر: ويعني بها اللّغة الفصحى القديمة، وثانيها: لغة أهل الجيل ويعني بها اللّغة الأدبية في زمانه، أمّا النّوع الثّالث: فهو اللّغات الّتي تختلف من إقليم إلى آخر[50].

ومن القوانين الطّبيعية للّغات: أنّه متى انتشرت اللّغة استحال على المتكلّمين بها الاحتفاظ بوحداتها الأولى زمنا طويلا، لهذا فهي مؤهّلة أن تتشعّب إلى عدّة لهجات تتصارع بفعل الاحتكاك الذّي تخضع له .وأوضح إبراهيم أنيس هذه المعادلة اللّسانية في قوله: "لقد انتظمت شبه الجزيرة العربية على لهجات محلية كثيرة، انعزل بعضها عن بعض، واستقل كل منها بصفات خاصة، ثمّ كانت تلك الظّروف الّتي هيأت بيئة معيّنة فرصة ظهور لهجة، ثمّ ازدهارها والتغلّب على اللّهجات الأخرى، ثمّ تفرعّها إلى لهجات موازية لها في الاستخدام"[51]، يتمّ حصرها في بوتقة زمنية تتطوّر نشوءا في حلقات[52].

واللّهجة شأنها كشأن اللّغة الفصحى ترتكز على أركان رئيسة، من: متكلّم، ومخاطب، وفكر وكلمات، أي: أنّها مجموعة أصوات تصدر عن الإنسان بعد أن اكتسبها، وتدلّ على معان أعطاها التواطؤ تقديرا في الذّهن عبر مراحل معيّنة من الاستعمال، بغرض التّعبير عن أحوال الفرد ومحيطه. والفارق بين اللّهجة واللّغة[53] طبيعي وجليّ، لا بدّ منه في كلّ

([49]) خاصية اللّغة المشتركة الأساسية أنّها لغة وسطى تقوم بين لغات أولائك الذّين يتكلّمونها جميعا. ينظر اللّغة: فندريس تعريب الدواخلي، والقصاص، القاهرة : مكتبة الأنجلو مصرية، 1972م: 341.

([50]) ينظر المقدمة، ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن خلدون)، الدار التونسية للنشر، 1984م: 299.

(51) مستقبل اللّغة العربية المشتركة: إبراهيم أنيس، القاهرة : د ط، 1956م: 8.

(52) ينظر تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي: أسعد أحمد علي، المرجع السابق: 54.

([53]) هناك فروق كبيرة تميّز اللّهجة عن اللّغة، أجملها "بيل" في سبعة معايير. 1) التّوحيد اللّغوي، 2) الحيوية :ويقصد بها وجود جماعة حيّة من المتكلّمين، 3) التّاريخية: المقصود بها الثّبات الطويل الممتدّ في الزّمن، 4) الاستقلالية :فيجب أن يشعر متكلموا لغة، بأنّ لغتهم تختلف عن اللّغات الأخرى وأنّها قائمة بذاتها، 5) الاختصار، 6) الامتزاج، 7) الواقعية. ينظر اللهجات وأسلوب دراستها: أنيس فرحية، بيروت (لبنان) : دار الجبل، ط1، 1989م: 88 – 89.

لغة من لغات البشر، وهذا الفارق أخذ ينشأ منذ القديم، لكنّه عظم في عصرنا الحديث، وأضحت اللّهجة بموجب هذا العامل الطبيعي قائمة بذاتها إزاء اللّغة الفصحى، تتميّز عنها في الصّفات الصّوتية وطبيعتها وكيفية نطقها، وفي اللّفظ، والمعنى، والتّركيب، دون أن يؤدّي إلى القطيعة، لأنّ المجتمع الذي يتكلّم أفراده لغة واحدة لا وجود له[54].

والعلاقة التي يمكن رصدها بين اللّغة واللّهجة، والعامية، والمنطوق، هي علاقة العام بالخاص. فالفرد النّاطق أشدّ ولعا بتكلّم أو أداء معيّن تعوّده منه بتكلّم عام يشترك فيه مع غيره، وكما يلزم الفصيل ثدي أمّه، إذا لهج به، فكذلك كلّ ناطق يلزم ما اعتاده من اللّهج به من مناهج وانحاء في الكلام[55]. إذا فاللّهجة عبارة عن قيود صوتية تلحظ عند الأداء، أو هي عبارة عن مجموعة من الصّفات اللّغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصّفات أفراد هذه البيئة، وبيئة اللّهجة هي جزء من بيئة أشمل وأوسع تضمّ عدّة لهجات، لكلّ منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظّواهر اللّغوية التي تسيّر الاتّصال بين أفراد هذه البيئات. والمحدثون من علماء اللّغة يطلقون على هذه الصّفات التي تميّز كلّ لهجة بالعادات الكلامية[56]، لأنّها ليست إلاّ مجرّد عادات نشأ عليها أبناؤها، وتأثّروا بها جيلا بعد جيل حتّى أصبحت طابعا لهم يميّزهم عن غيرهم من التكلّمين بلغات أخرى، وتلك العادات الكلامية هي عادات مكتسبة لا أثر للوراثة فيها[57]. واكتسبت اللّهجة في ضوء حصرها في بيئة معيّنة، وعلى أناس معيّنين، تعريفات مميّزة بدقّة، لهجة محلّية أو جهوية هي المتداولة في محيط واحد من البلاد، ولهجة اجتماعية هي المنطوقة من لدن جماعة معيّنة تنتمي إلى نفس الطّبقة الاجتماعية .

وذهب جمهور العلماء القدامى والمحدثين إلى أنّ اللغة الفصحى هي لغة قريش التي نزل بها القرآن الكريم، وقد اكتسبت هذا الشرف بما توافرت لها من أسباب القوة اللغوية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، قبل الإسلام وبعده، وعزز هذا الرأي ابن فارس بقوله: "أجمع علماؤنا بكلام العرب، والرواة لأشعارهم العلماء بلغاتهم وأيامهم ومحلهم أنّ قريشا أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة، وذلك أنّ الله جلّ ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبي الرحمة محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل قريشا قطان

([54]) ينظر علم اللّغة العام: توفيق محمد شاهين، القاهرة (مصر): مكتبة وهبة، ط2، 1414هـ، 1992م: 20.

([55]) ينظر الجغرافية اللسانية في التراث اللغوي العربي: عبد الجليل مرتاض، دار الغرب للنشر والتوزيع، د ت: 16.

([56]) ينظر الأصوات اللغوية: ابراهيم أنيس:20.

([57]) ينظر الخصائص الصوتية في لهجة الإمارات العربية، دراسة لغوية ميدانية: أحمد عبد الرحمان حماد، دار المعرفة الجامعية، دار سوتر الإسكندرية، د ط، د ت: 19.

حرمه وجيران بيته الحرام وولاته وكانت قريش – مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها – إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب"[58]. ويقول الدكتور إبراهيم أنيس: " وهكذا نرى أنّ بيئة مكة قد هيّئت لها ظروف وفرص بعضها ديني وبعضها اقتصادي واجتماعي ممّا ساعد على أن تصبح المركز الذي تطلّعت إليه القبائل، وشدّت إليه الرحال قرونا عدة قبل الإسلام، فكان أن نشأت بها لغة مشتركة أسست في كثير في صفاتها على لهجة مكة"[59]. ويقول عميد الأدب طه حسين: "...لغة قريش إذن هي هذه اللغة العربية الفصحى فرضت على قبائل الحجاز فرضا لا يعتمد على السيف وإنما يعتمد على المنفعة وتبادل الحاجات الدينية والسياسية والاقتصادية وكانت هذه الأسواق التي يشار إليها في كتب الأدب كما كان الحج وسيلة من وسائل السيادة للغة قريش"[60]. ورفض الدرس اللغوي المعاصر مسألة المفاضلة بين اللغات، وما ذهب إليه القدماء أنّ سبب تفضيلهم لغة قريش مرتبط باعتقادهم أنّ النبي قرشي، وأن القرآن نزل بلغتهم. وأنّ العيوب التي خلت منها لهجة قريش، والتي تنسب إلى كثير من القبائل العربية اعتبرها بعضهم مبالغة نابعة من دافع افتخار كل قبيلة بلغتها. والتطور اللغوي حسم في أنّ شبه الجزيرة العربية كانت بها لهجات كثيرة مختلفة تنسب كل لهجة منها إلى أصحابها، وإلى جانب هذه اللهجات كانت هناك لغة عربية مشتركة تكونت على مرّ الزمن لا تنسب إلى قبيلة بذاتها، لكنها تنسب إلى العرب جميعا ما دامت النصوص الشعرية والنثرية لا تكاد تختلف فيما بينها، وهذه النصوص كما نعلم ليست قرشية أو تميمية فقط بل هي من قبائل مختلفة مما يدل على أن هذه اللغة المشتركة هي التي كان الأدباء يصطنعونها في فنهم القولي.

والتطور الذي مس لغات القبائل المستقرة في المدن المتحضرة في مختلف المستويات اللغوية يتخلف تماما عن التطور الذي أصاب لغات القبائل البدوية المتنقلة، فحياة الحضر تطلب التصنع في تحسين النطق وتخير العبارات والحرص علي الوضوح واجتناب اللبس، على حين أن حياة البادية يميل فيها أهلها السرعة في النطق وإيجاز في الكلام، مما كان له أثر واضح في اختلاف. ويرى اللغويون المحدثون أن جمع النصوص اللغوية من هذه اللهجات المختلفة قد أوجد بعض الخلافات التي ظهر أثرها في التقعيد النحوي، ولو اكتفى القدماء من علماء

([58]) ينظر الصاحبي: ابن فارس، القاهرة 1910م: 23 .

([59]) مستقبل اللغة العربية: إبراهيم أنيس، الجامعة العربية، 1960م: 8-9.

([60]) ينظر في الأدب الجاهلي: طه حسين، المعارف 1952م: 133.

اللغة بلغة القرآن الكريم ولغة العصر الجاهلي، لما طرحت المسائل الخلافية، ولأبتعد الدرس النحوي عن كثير من تأويلاتهم التي تبعد عن الفهم الصحيح للظاهرة اللغوية، لكن الأخذ عن القبائل العربية كان له أثره الواضح في وضع القواعد النحوية.

ومن جانب آخر يعتقد العلماء المحدثون أن الفترة الزمنية التي اعتمد عليها القدماء في جمع النصوص في عصر الاحتجاج طويلة، بحيث ضمت هذه الفترة كل من عصر الجاهلية وصدر الإسلام، والعصر الأموي، وشطرا من العصر العباسي، ولا محالة أن تكون اللغة في هذه المدة الممتدة عرضة للتطور على مختلف مستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية. إذ يرى تمام حسان أنّ منهج القدماء تميّز بالاضطراب من ناحيتين:

1) شمول دراستهم لمراحل متعاقبة من تاريخ اللغة العربية، تبدأ من حوالي مائة وخمسين عاما قبل الإسلام وتنتهي بانتهاء ما يسمونه عصر الاحتجاج وفي هذه الحقبة لا تظل اللغة ثابتة على حالها بل تتطور من نواح مختلفة.

2) خلطهم بين لهجات مختلفة ومحاولة إيجاد نحو عام لها جميعا.

نشأة اللغة العربية المشتركة الفصحى:

تأخذ اللغات في حياتها اتجاهين متعاكسين:

إما يجنح بها إلى الانقسام كما حدث للغة الجرمانية التي انبثق عنها الانجليزية والألمانية والهولندية.

وإما أن يجنح بها نحو التوحد الذي يؤدي إلى تكوين اللغات المشتركة، إن توافرت الظروف لإحدى اللهجات فتطغى على أخواتها في بيئة لغوية معينة، كما هو الشأن للهجة باريس التي طغت على معظم أخواتها إلي أن أصبحت لغة الآداب والكتابة في فرنسا. وكذلك الشأن بالنسبة للهجة لندن التي طغت أشهر لهجات انجلترا مكونة اللغة الانجليزية المشتركة. وعادة ما تقتضي التوحيد اللغوي حاجات اجتماعية عندما يتجه الأفراد إلى توطيد التفاهم وتعزيز الروابط فيما بينهم، الأمر الذي ينتج عنه تقارب في صور الكلام. و يرى اللغويون أن نشأة اللغة المشتركة عملية تدريجية لا تتم في جيل أو
جيلين، وإنما تقتضي زمنا طويلا، وظروفا اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية، وهي تعتمد دائما على الاتصال والاختلاط وللاشتراك في الحياة، وقد تفرزه حرب تؤدي إلى اختلاط أناس من لهجات مختلفة، أو قد ينجم عن إقامة الأسواق العامة التي يفد إليها الناس من بيئات لغوية مختلفة لقضاء حاجاتهم ومصالحهم، وغير ذلك.

خصائص اللغة المشتركة

من أهم الخصائص المميزة للغة المشتركة ما يلي:

1) أنها مستوى لغوي أرقى من لهجات الخطاب، أي أنها فوق مستوى العامة .

2) أن اللغة المشتركة و إن تأسست في بدء نشأتها على لهجة معينة وتضمنت بعض صفات اللهجات الأخرى، إلا أنها قد فقدت مع الزمن كل المنابع التي استمدت منها عناصرها، وأصبح لها كيان مستقل، فلم تعد تنتسب إلي بيئة محلية تعينها.

أثبت الدرس اللغوي العربي أنه لم تصل إلينا معلومات عن طفولة العربية. وما وصل إلينا لا يتجاوز العصر الجاهلي الذي يؤرخ له ينحو مائة وخمسين عاما قبل ظهور الإسلام.

اختلفت علماء اللغة العربية سواء أكانوا قدماء أو محدثين في نظرتهم إلي العربية المشتركة ولهجاتها:

فيرى القدامى إلى أن العربية المشتركة هي لغة قريش ونقل السيوطي (ت:911م) عن أبي نصر الفارابي قوله : (كانت قريش أجود العرب انتقادا للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها.

وقد حدث إجماع على علو منزلة لهجة قريش بفضل ما تجمع لديها من رقة اللسان والبعد عن الألفاظ الموحشة وبفضل ما اختارته من لهجات القبائل.

كما أشارت الدراسات اللغوية الحديثة إلى تأثر لهجة قريش بغيرها من لهجات القبائل نتيجة الاتصال المستمر حيث إن احتكاك اللهجات بعضها ببعض تنصهر بموجبه الفوارق اللهجية، ويؤدي في النهاية إلى أن تتغلب إحدى هذه اللهجات على شقيقاتها متى أتيحت لها الظروف، كما يؤدي إلى أن تترك هذه اللهجات آثارها في اللهجة الغالبة، لكننا في الوقت. وليس معنى هذا أنّ لهجة قريش أفصح اللهجات العربية إذ أن المفاضلة بين اللهجات لا تتفق مع وجهة النظر اللغوية الحديثة.

والدراسات الحديثة لا تسلم بجعل لهجة قريش وحدها لغة القرآن والحديث والآداب، فقد سبق الذكر في نشأة اللغات المشتركة بأن هذه اللغات وإن قامت في بدء نشأتها على أساس لهجة سادت غيرها لأسباب اجتماعية واقتصادية وثقافية، إلا أنها تصبح مع الزمن ملكا للجميع، وينسى الناس جذورها الأولى.

هكذا الشأن بالسبة إلى اللغة العربية المشتركة فإن قامت في بداية نشأتها على أساس لهجة قريش إلا أنها أخذت على مر السنين خصائص لغوية من قبائل عربية مختلفة نتيجة اتصال قريش بهذه القبائل في مناسبات عديدة، فلم تعد اللغة المشتركة لهجة قريش وحدها بل هي مزيج منسجم من اللهجات العربية، ولتوضيح ذلك أكثر فظاهرة النبر- أي تحقيق الهمز- فهي من الخصائص البدوية التي اشتهرت بها قبائل وسط الجزيرة وشرقيها، تميم وما جاورها، وأن عدم النبر أي تسهيل الهمز أو تخفيفه - صفة حضرية امتازت بها لهجة القبائل في شمال الجزيرة وغربيها، قريش وما جاورها من القبائل الحجازية. ويفهم من ذلك أن لهجة تميم تحقيق الهمز ولهجة قريش تسهيلها، وقد أخذت العربية المشتركة تحقيق الهمز من تميم، وأصبح الخاصة من العرب مهما اختلفت قبائلهم يلتزمون تحقيق الهمز في الأساليب الشعرية أو خطابية أو النثر حتى القبائل الحجازية، فهي وإن كانت في لهجات الخطاب تسهل

الهمز إلا أنها التزمت تحقيقه في الأساليب الأدبية.

أهمية علم اللهجات العربية

لدراسة اللهجات العربية القديمة أهمية كبيرة في الدراسات اللغوية فعن طريقها يمكننا معرفة التطور في دلالات الألفاظ ومعرفة ما تؤديه من معان مختلفة لاختلاف البيئات، كما تعين في نسبة كثير من اللهجات الحديثة وإعادتها إلى اللهجات القديمة وتفيدنا في رسم الخارطة اللغوية للتوزيع اللهجي وانتشار القبائل العربية وهجرتها، وأماكن سكناها وتعد دراسة اللهجات المختلفة في اللغة الواحدة من وجهة نظر علم اللغة الحديث أفضل مساعد لفهم طبيعة تلك اللغة ومراحل نشأتها وتطورها وبيان تاريخها.

و لا تخلو دراسة اللهجات العربية القديمة من هذه الأهمية، فبواسطتها تحصل معرفة التطور في دلالات الألفاظ وما تؤديه من معان مختلفة لاختلاف البيئات، كما يساعد هذا الدرس في إعادة اللهجات الحديثة الى اللهجات القديمة، وتفيد في وضع الخارطة اللغوية للتوزيع اللهجي وانتشار القبائل
العربية وهجرتها.

ويمكن أن تشمل هذه الأهمية النقاط التالية:

1) الحاجة الملحة إلى الوقوف على مراحل تطور اللغة العربية في العصر الحديث من جهة الأصوات، والمفردات، والصيغ، والدلالة، وفي الجمل والتراكيب، وفهم قضايا متعلقة بها على مختلف المستويات، كتلاشي أصوات، وتحوير أخري، وفهم أسباب بعض الظواهر كالاشتراك اللفظي، والتضاد، والمترادف، وكثرة المصادر والجموع السماعية، وظواهر الشذوذ المختلفة، كل ذلك تمكننا دراسات اللهجات من فهمه.

2) ارتباط اللهجات العربية بالقراءات القرآنية، التي تمثل اللهجات جانبا كبيرا منها، ودراسة اللهجات تساعد على نسب هذه القراءات اللهجية إلى متكلميها.

3) توصلت دراسة اللهجات القديمة إلى معرفة ما إذا كانت العربية الفصحى ولغة الشعر، عبارة عن حصيلة لهجات عدة، أم أنها لهجة قبيلة معينة، كانت سائدة اتخذها الشعراء قالباً ينظمون فيه أشعارهم.

دراسة اللهجات تساعد على إعطاء تحليلات علمية للتكوين اللغويّ للغة العربية، فبيّنت أن الفصحى عبارة عن خليط من لهجات شتى، كان لكل قبيلة نصيب في صنعه بحسب ظروف كل قبيلة ومكانتها.

4) غياب معجم تاريخي للغة العربية للربط بين حاضرها ومستقبلها وبين ماضيها، ودراسة اللهجات القديمة والحديث تلح على وضع مثل هذا المعجم.

5) دراسة اللهجات قديمها وحديثها تمكن من اكتشاف القوانين التي سارت عليها العربية في تطورها، والعوامل التي وجهت هذا التطور وأثرت فيه، وارتباط كل ظاهرة بمسبباتها في المكان أو الزمان.

7) تكشف لنا دراسة اللهجات العربية الحديثة عن احتفاظها بعناصر لغوية كثيرة من اللهجات القديمة.

فالبحث في اللهجات الحديثة كشف أنها ترجع في كثير من الحالات إلى اللهجات العربية القديمة، أكثر من رجوعها إلى اللغة الفصحي المشتركة.

8) كما كشفت دراسة اللهجات الحديثة عن الأماكن التي استقرت فيها القبائل العربية بعد الفتوح الإسلامية، حيث إن كل منطقة نطقت العربية بلهجة من نزل بها من العرب.

9) دراسة اللهجات ساعدت على نسبة أقوام متفرقين في أماكن مختلفة إلى أصل واحد.

مصادر دراسة اللهجات

تستقي دراسة اللهجات القديمة والحديثة مادتها من مصادر منها ما هو خاص باللهجات القديمة، ومنها ما هو خاص باللهجات الحديثة، ومنها ما هو مشترك بين القديمة والحديثة على السواء، ومن هذه المصادر:

1) القراءات القرآنية:

وهي أهم مصادر اللهجات القديمة وأوثقها جميعاً، لأسباب منها:

أ- أن القرآن الكريم نزل (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ): الشعراء:195. على أفصح الخلق أجمعين، وهي لغة عربية فصحي لهجة قريش ولهجات قبائل عربية أخري نصيب فيها. وعلى هذا فالقراءات القرآنية كانت ممثلة لهذه اللهجات، لأن قُرَّاء القرآن الكريم كانوا من جزيرة العرب التي اشتملت على هذه القبائل جميعا، وبذلك تتوطد الصلة بين القراءات واللهجات، وما يوضح ذلك أنه نزل بسبعة أحرف أو سبع لهجات.

ب- وضع العلماء للقراءة الصحيحة شروطا ثلاثة لابد من توافرها فيها، وهي أن تكون متواترة، وأن موافقة للرسم العثماني، وأن توافق العربية ولو بوجه.

جـ- وثاقة منهج نقل القراءات القرآنية، فهو يختلف في طريقة نقلها عن الطريق التي نقلت بها المصادر الأخرى كالشعر، والنثر، بل اختلفت طريقة نقلها عن طريقة نقل الحديث الشريف، إذ أنها تعتمد على التلقي والعرض.

2) المأثور عن العرب مما حفظته لنا بطون الكتب:

فالقدماء لم يتركوا لنا مؤلفا مستقلاً في اللهجات، وإنما جاءت إشارات عنها مبثوثة في بطون كتب التراث من لغة، وأدب، وتفسير، وتاريخ، ونحو، ومعاجم، وكتب الطبقات والتراجم.

فمن هذه الإشارات اللهجية تلك التي قدّمها الجاحظ (تـ 255هـ) في كتابيه (البيان والتبين)، و(البخلاء). والمقدسي (تـ375هـ) في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، وابن خلدون (تـ 808هـ) في مقدمته، وغيرهم من العلماء.

كما تضمنت بعض الكتب التي اهتمت بتصحيح وتصويب ما ورد من لحون في كلام العامة والخاصة، مثل كتاب (ما تلحن فيه العامة) للكسائي (تـ 189هـ)، و(إصلاح المنطق) لابن السكيت (تـ 244هـ)، و(أدب الكاتب) لابن قتيبة (تـ 276هـ)، و(درّة الغواص في أوهام الخواص) للحريري (تـ 516هـ).

3) في اللهجات الحديثة حقائق عن اللهجات القديمة:

الدرس الحديث في اللهجات المعاصرة كشف لنا حقائق عن اللهجات العربية القديمة، بحيث تشير إلى الكثير من العاميات في اللهجات العربية إلى ما تضمنته اللهجات العربية القديمة، منها مثلا: ما تضمنته الكثير من اللهجات الحديثة ما يتفق في اللفظ والمدلول مع الفصحى، نحو: العباية التي هي ضرب من الأكسية، فهي العامية والفصحى سواء.

القراءات القرآنية

اللهجات والقراءات القرآنية:

تعريف القراءة:

لغة: مصدر: القراءة لغة مصدر مفرد وجمعها قراءات، وقرأ الكتاب قراءة قُرءانا بالضم وقرأ الشيء قرآنا (بالضم) أيضا جمعه وضمه، ومنه سمي القرآن لأنه يجمع السور ويضمها[61]، وقوله تعالى: " إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ "، القيامة:17، أي قراءته، وجمع القارئ قرأة مثل كافر وكفرة، والقُراء بالضم والمد المتنسك.

واصطلاحا : مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء، مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها.

هذا التعريف يعرف القراءة من حيث نسبتها للأمام المقرئ كما ذكرنا من قبل، أما الأصل في القراءات فهو النقل بالإسناد المتواتر إلى النبي.

والمقرئ**:** هو العالم بالقراءات، التي رواها مشافهة بالتلقي عن أهلها إلى أن يبلغ النبي.

من الصعب حصر لهجات القبائل التي وردت في القرآن الكريم في عدد مضبوط، لذا اختلفت الآراء في هذه المسألة في وقت مبكر وتعددت وجهات النظر، وارتبط هذا الاختلاف بالحديث الشهير المروي عن الصحابة ـ رضي اللـه عنهم ـ بطرق مختلفة عن أن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: " اقرأني جبريل على حروف فراجعته، فلم أزل استزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة احرف"[62]. وفي رواية أخرى عن عمر بن الخطاب ـ رضي اللـه عنه ـ قال سمعت هشاماً بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول اللـه ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول اللـه ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ فكدت أساوره في الصلاة، فانتظرته حتى سلم ثم لببته بردائه أو بردائي فقلت: من أقرأك هذه السورة؟ قال: أقرأنيها رسول اللـه ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ قلت له: كذبت، فواللـه إن رسول اللـه ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ أقرأني هذه السورة متى سمعتك تقرأها، فانطلقت أقوده إلى رسول اللـه ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ فقلت: يا رسول اللـه إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرأنيها، وأنت أقرأتني

([61]) ينظر لسان العرب: ابن منظور: مادة (ق ر أ).

([62]) رواه ابن عباس ـ رضي اللـه عنهما، حديث متفق عليه.

سورة الفرقان، فقال رسول اللـه ـ صلى عليه وسلم ـ أرسله يا عمر: اقرأ يا هشام، فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرأها. قال رسول اللـه ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ هكذا نزلت. ثـم قال رسول اللـه ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ: "هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه". والمقصود بالأحرف في هذا الحديث كان عند القدماء والمحدثين موضع اختلاف، وكانت عند بعضهم أفصح لهجات القبائل التي تضمنها القرآن الكريم، وكان عند بعضهم الآخر لهجات أخرى لغير القبائل العربية السبعة الفصحى، ولذا كن العدد المذكور في الحديث للدلالة على رمزية الكثرة، وليس على العدد، أي أنّ القبائل العربية اشتمل القرآن الكريم لهجاتها لا ينبغي تقييدها بعدد معين، فقد حصرها بعضهم في أكثر من ثلاثين لهجة[63]. فعدد اللهجات يفوق اللهجات السبع، فالعدد سبعة لا يقصد به بالعدد الوارد في الحديث، وإنما هو كناية عن الكثرة في الآحاد كما أن السبعين تستعمل كناية عن الكثرة في العشرات، والسبعمائة كناية عن الكثرة في المئات. ولكن المجمع حوله والمتفق عليه أن اللهجات التي اشتملتها لغة القرآن فهي أفصح لهجات القبائل وهي عند بعضهم: قريش، وهذيل، وتميم، والأزد، وربيعة، وهوزان، وسعد بن بكر. وهي عند بعضهم الآخر: قريش، وهذيل، وسعد بن بكر، وثقيف، وخزاعة، وأسد وضبة، وتميم، وقيس، وتذهب جماعة ثالثة إلى القول بأنها هي: قريش، وكنانة، وأسد بن خزيمة، وهذيل، وتميم أو تيم الرباب، ضبة، وقيس[64]. والقاسم المشترك بين بين الآراء الثلاثة
حول القبائل السبع نجد قبائل ثلاثة، وهي: قريش، وهذيل، وتميم، إلى أن أجمع الكثير من العلماء على أنّ القبائل التي يمكن اعتبار لهجاتها تضمنتها لغة القرآن الكريم، هي: قريش، وهذيل، وتميم، وكنانة، وسعد بن بكر، وهوزان، وثقيف، فهذه.

تعتبر القراءات القرآنية أهم مصدر لمعرفة اللهجات العربية، ودراسة القراءات القرآنية تتناول مسائل منها أصل نشأة القراءات ومسار تطورها، ومسألة توثيق النص القرآني، وبيان القراءات الصحيحة والشاذة، ومصادر القراءات في التراث الفكري القديم، ولهجات القراءات، والقراء ومسألة الخلاف بين النحاة والقراء.

أما توثيق النص القرآني فبدأ مع رسول الله فكان أوّل قارئ للقرآن، وكان يعجل بقراءته حين تلقيه من أجل حفظ النص وتثبيته، لقد اتضح ذلك في قوله تعالى: " لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ"، القيامة: 16. ومن مظاهر توثيق النص القرآني كذلك كتابته سواء في زمنه أو في زمن خلفائه. ثم توسعت الدولة الإسلامية عن طريق الفتوحات، وخرج الصحابة إلى الأمصار الإسلامية الجديدة. ونشط الخلفاء في إيفاد القراء من الصحابة إلى الأمصار

([63]) ينظر لغة القرآن دراسة توثيقية فنية: أحمد مختار عمر، ط1، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، 1993م: 58.

([64]) ينظر البرهان في علوم القرآن: الزركشي بدر الدين: تح محمد ابو الفضل، ط1، الحلبي الثانية: 1/ 217..

.

ليعلموا الناس القرآن، فكثر القراء الأئمة، وتعددت القراءات المأخوذة عنهم، وبدأ الناس يقبلون على قراءات بعض الأئمة دون بعض، فقبلوا بعض القراءات وردّوا بعضها الآخر، معتمدين في ذلك على قواعد محدّدة وأصول معيّنة لعل أهمّها:

أنواع القراءات حسب أسانيدها الأول: المتواتر- الثاني: المشهور- الثالث: الآحاد- الرابع: الشاذ - الخامس: الموضوع- السادس: المدرج

الأحرف السبعة والقراءات

تعريف الحرف:

لغة: الحرف في أصل كلام العرب معناه الطرف والجانب، وحرف السفينة والجبل جانبهما.

واصطلاحاً: الأحرف السبعة: سبعة أوجه فصيحة من اللغات والقراءات أنزل عليها القرآن الكريم.

الإقرار بالأحرف السبعة في الحديث النبوي الشريف

الأحرف السبعة والقراءات السبع.

الأحرف السبعة المقصود سبع لغات نزل بها القرآن، والأحرف السبعة ليس معناها القراءات السبع المشهورة، كما يعتقد البعض.

القراءات السبع إنما عرفت واشتهرت في القرن الرابع، على يد الإمام المقرىء ابن مجاهد الذي اجتهد في تأليف كتاب يجمع فيه قراءات بعض الأئمة البارزين في القراءة، فذهب أن هذه القراءات سبعة موافقة لعدد الأحرف.

حقيقة الأحرف السبعة.

ذهب بعض العلماء إلى استخراج الأحرف السبعة باستقراء أوجه الخلاف الواردة في قراءات القرآن كلها، صحيحها وضعيفها، ثم تصنيف هذه الأوجه إلى سبعة أصناف، على حين عمد آخرون إلى التماس الأحرف السبعة في لغات العرب، فنشأ بذلك مذهبان. وهما أقوى ما قيل، وأرجح ما قيل في بيان المراد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، غير أن المذهب الثاني أرجح وأقوى.

المذهب الأول: مذهب استقراء أوجه الخلاف في لغات العرب، وفي القراءات كلها ثم تصنيفها، وهو تصنيف الإمام أبي الفضل عبد الرحمن الرازي، حيث قال: ... إن كل حرف من الأحرف السبعة المنزلة جنس ذو نوع من الاختلاف.

أحدها: اختلاف أوزان الأسماء من الواحدة، والتثنية، والجموع، والتذكير، والمبالغة، نحو

قوله تعالى:" **وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ"، المؤمنون: 8،** وقرئ. **لأَمَانَتِهِمْ** بالإفراد.

ثانيها: اختلاف تصريف الأفعال وما يسند إليه، نحو الماضي والمستقبل، والأمر، وأن يسند إلى المذكر والمؤنث، والمتكلم والمخاطب، والفاعل، والمفعول به. نحو قوله تعالى: " **فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا"، سبأ: 19،** بصيغة الدعاء، وقرئ: **رَبَّنَا بَاعَدَ** فعلا ماضيا.

ثالثها: وجوه الإعراب. نحو قوله تعالى: **"وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ"، البقرة: 282،** قرئ بفتح الراء وضمها. وقوله: " **ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيد"، البروج: 15،** برفع **الْمَجِيدُ** وجره.

رابعها: الزيارة والنقص، نحو قوله تعالى: **"وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى"، الليل: 3،** قرئ **الذَّكَرَ وَالأُنْثَى.**

خامسها: التقديم والتأخير، نحو قوله تعالى: " **فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ"، التوبة: 111،** وقرئ: **فَيُقْتَلونَ ويَقْتُلُون،** وقوله: " **وجاءت سكرة الموت بالحق"**، ق: 19، قرئ: **وجاءت سكرة الحق بالموت.**

سادسها: القلب والإبدال في كلمة بأخرى، أو حرف بآخر، نحو قوله تعالى: **"وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا"، البقرة: 259،** بالزاي، وقرئ: **ننشرها** بالراء.

سابعها: اختلاف اللغات، نحو قوله تعالى: **"هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى"، النازعات: 15،** بالفتح و **الإمالة** في: **أتى** و **موسى** وغير ذلك من ترقيق وتفخيم وإدغام.

المذهب الثاني: أن المراد بالأحرف السبعة لغات من لغات قبائل العرب الفصيحة.

فالمعنى الأصلي للحرف هو اللغة، فأنزل القرآن على سبع لغات مراعيا ما بينها من الفوارق التي لم يألفها بعض العرب، فأنزل الله القرآن بما يألف ويعرف هؤلاء وهؤلاء من أصحاب اللغات، حتى نزل في القرآن من القراءات ما يسهل على جلّ العرب إن لم يكن كلهم، وبذلك كان القرآن نازلا بلسان قريش والعرب.

القراءات السبع:

شروط القراءة المقبولة

لقد اشترط علماء القراءات القراءة المقبولة ما يلي:

أن تكون القراءة موافقة للعربية ولو بوجه، وأن تكون موافقة لرسم أحد المصاحف ولو احتمالا، وأن يكون سندها متواترا، فهي القراءة الصحيحة.

أما الشرط الأول فموافقة العربية ولو بوجه، بمعنى هذا الشرط أن تكون القراءة موافقة لوجه من وجوه النحو، ولو كان مختلفا فيه اختلافا لا يضر مثله، فلا يصح مثلا الاعتراض على قراءة حمزة لقوله تعالى: **" وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامِ"، النساء: 1**، بجر الأرحام.

أما موافقة خط أحد المصاحف ولو احتمالا، فذلك أن النطق بالكلمة قد يوافق رسم المصحف تحقيقا إذا كان مطابقاً للمكتوب، وقد يوافقه احتمالاً أو تقديراً باعتبار ما عرفنا أن رسم المصحف له أصول خاصة تسمح بقراءته على أكثر من وجه. كقوله تعالى: **" ملك يوم الدين"**، رسمت **(ملك)** بدون ألف في جميع المصاحف، فمن قرأ: "ملك يوم الدين"، من دون ألف فهو موافق للرسم تحقيقياً، ومن قرأ: **(مالك)**، فهو موافق تقديراً، لحذف هذه الألف من الخط اختصاراً.

أما تواتر السند فهو أن تعلم القراءة من جهة راويها ومن جهة غيره ممن يبلغ عددهم التواتر في كل طبقة.

أنواع القراءات حسب أسانيدها

لقد قسم علماء القراءة القراءات بحسب أسانيدها إلى ستة أقسام:

1) المتواتر: وهو ما نقله جمع غفير لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهى السند، وهذا النوع يشمل القراءات العشر المتواترات.

2) المشهور: وهو ما صح سنده ولم يخالف الرسم ولا اللغة واشتهر عند القراء: فلم يعدوه من الغلط ولا من الشذوذ، وهذا لا تصح القراءة به، ولا يجوز رده، ولا يحل إنكاره.

3) الآحاد: وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور، وهذا لا يجوز القراءة. مثل ما روى على (رفارف حضر وعباقري حسان)، والصواب الذي عليه القراءة: "رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ"، الرحمن: 76.

4) الشاذ: وهو ما لم يصح سنده ولو وافق رسم المصحف والعربية، مثل قراءة : "مَلَكَ يومَ الدين"، بصيغة الماضي في (ملك)، ونصب (يوم) مفعولاً.

5) الموضوع: وهو المختلق المكذوب.

6) ما يشبه **المدرج** من أنواع الحديث، وهو ما زيد في القراءة على وجه التفسير.

وهذه الأنواع الأربعة الأخيرة لا تحل القراءة بها.

القراءات المتواترة وقُرّاؤها:

لقد تفرغ قوم للقراءة والأخذ، واعتنوا بضبط القراءة حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم ويرحل إليهم، ويؤخذ عنهم. فكان بالمدينة: أبو جعفر يزيد بن القعقاع، ثم شيبة بن نصاح، ثم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم.

وكان بمكة: عبد الله بن كثير، وحميد بن قيس الأعرج، ومحمد بن مُحَيْص. وكان بالكوفة: يحيى بن وثاب، وعاصم بن أبي النَّجود الأسدي، وسليمان الأعمش، ثم حمزة بن حبيب، ثم الكِسائي أبو علي بن حمزة.

وكان بالبصرة: عبد الله بن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وأبو عمرو بن العلاء، ثم عاصم الجحدري، ثم يعقوب الحضرمي.

وكان بالشام: عبد الله بن عامر، وعطية بن قيس الكلابي، وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر، ثم يحيى بن الحارث الذماري، ثم شريح بن زيد الحضرمي.

إلى أن جاء الإمام أحمد بن موسى بن العباس المشهور بابن مجاهد المتوفى سنة (324هـ) فأفرد القراءات السبع المعروفة، فدونها في كتابه: " القراءات السبعة" فاحتلت مكانتها في التدوين، وأصبح علمها مفرداً يقصدها طلاب القراءات.

أهمية الأحرف السبعة والقراءات

إن الأحرف السبعة والقراءات ظاهرة هامة جاء بها القرآن الكريم من نواح لغوية وعلمية متعددة، منها زيادة فوائد جديدة في تنزيل القرآن: ذلك أن تعدد التلاوة من قراءة إلى أخرى، ومن حرف لآخر قد تفيد معنى جديداً، مع الإيجاز بكون الآية واحدة.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: "فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ"، المائدة: 6، قرئ: (وأرجِلَكم) بالنصب عطفاً على ما سبق، فأفاد وجوب غسل القدمين في الوضوء، وقرئ بالجر، فقيل: هو جر على المجاورة، وقيل: هو بالجر لإفادة المسح على الخفين.

الاعتماد على القراءات الشاذة إلى جانب الصحيحة في معرفة اللهجات العربية

كان العلماء يعتمدون على القراءات الشاذة كاعتمادهم الصحيحة في معرفة اللهجات العربية، العبرة في اختلاف القراءات إنما كانت لاختلاف اللهجات، والقراءات الصحيحة ليست كل القراءات التي كان يقرأ بها المسلمون الأولون لكنها اشتهرت حين سبّع ابن

مجاهد القراءات السبع وشذذ ما عداها. فالقراءات الشاذة جاءت منقولة مروية، والرواية تبلغ بها عصر الرسول، وكل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء أكان متواترا أم آحادا أو شاذا[65].

الخلاصة

تعد القراءات القرآنية من أهم مصادر اللهجات القديمة وأوثقها جميعاً، لأسباب منها:

1) أن القرآن الكريم نزل على أفصح الخلق أجمعين صلى الله عليه وسلم " **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**"، الشعراء:195، ولغة عربية فصحي منتقاة، من لهجة قريش ولهجات قبائل عربية أخري، ولهذا جاءت القراءات القرآنية ممثلة لهذه اللهجات، وقُرَّاء القرآن الكريم كانوا من جزيرة العرب التي اشتملت على هذه القبائل جميعا، وبذلك تقوَّت الصلة بين القراءات واللهجات.

2) وضع العلماء للقراءة الصحيحة شروطا ثلاثة لابد من توافرها فيها، وهي: أن تكون متواترة، وأن توافق الرسم العثماني، وأن توافق العربية ولو بوجه، ويمكن تفسير الشرط الأخير بصحة القراءة بلهجة العرب على اختلافها.

3) وثاقة منهج نقل القراءات القرآنية، فهو يختلف في طريقة نقلها عن الطريق التي نقلت بها المصادر الأخرى كلها، كالشعر، والنثر، بل اختلفت طريقة نقلها عن طريقة نقل الحديث الشريف، إذا كانت ولا زالت تعتمد على التلقي والعرض.

([65]) ينظر الاقتراح: للسيوطي: 17.

بين اللهجات القديمة واللهجات الحديثة

لقد عرفنا سابقا اللهجة بأنها في الإصلاح؛ مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة؛ ضمن بيئة أوسع وأشمل تضم عدّة لهجات، لكل منها خصائصها، لكن يَشْتَرِك في الصفات اللغوية لكل بيئة؛ جميعُ أفرادها.

والصفات التي تتميز بها عادة اللهجة؛ تنحصر في طبيعة الأصوات، وكيفية إنتاجها، والمميز بين لهجة وأخرى يكمن في بعض الاختلاف الصوتي في أغلب الأحيان. ولا يعنى هذا أنها تخلو من بعض المميزات في بنية الكلمة ودلالتها.

كما تشترك جميع اللهجات في مجموعة من الصفات اللغوية، والعادات الكلامية التي تشكل لغة مستقلة عن غيرها من اللغات.

وقد اصطلح على البيئة الشاملة التي تتألف من عدّة لهجات بـ " اللغة"؛ فالعلاقة بين اللغة واللهجة، هي العلاقة بين العام والخاص. فاللغة تشمل في العادة عدة لهجات، لكل منها ما يميزها.

والتطور التاريخي الذي طرأ على اللغة الأم والذي أفرز ما هو معروف عندنا باللهجة العامية فهي بدورها لغة عند القدماء.

وجعل بعض اللغويين اللهجة في الدرس اللغوي الحديث لا تخرج عن مجالين، مجال اختلفت فيه لغات القبائل العربية فيما بينها. وعلى اختلافها فكان لها لسان مشترك يجمعها، وهو الذي وصلت به إلينا كتب التراث العربي، فلا يمكن التصور أنهم كانوا يتحدثون في بيعهم وشرائهم وهزلهم باللغة ذاتها التي ينظمون بها شعرهم أو يضعون بها خطبهم.

أما المجال الثاني وهو ما دخل فيه اللسان العربي من العامية نتيجة الصراع الذي عاشته اللغة العربية على المستوى الشعبي في أقطار المتكلمين بها، فقد احتكت بأجناس وجماعات بشرية مختلفة، مارست الحديث اليومي بها، فأخذت وأعطت وتغيرت تغيرات مختلفة بحسب الظروف التي يتميز بها كل قطر، فكانت هناك لهجات شعبية تستخدم أداة للتفاهم اليومي في كل قطر.

فالعربية لغة الشعوب العربية كلهم، لكنهم في تطبيق هذه اللغة يختلف قطر عن قطر في أصوات الحروف وصفاتها من تفخيم وترقيق وإمالة وغير ذلك، فكيفية النطق عند المصريين تختلف عن كيفيته النطق لدى المغاربة أو غيرهم.

ومن غير المنطقي تقسيم اللهجات العربية الحديثة حسب البلد، كالقول بلهجة سورية أو لهجة مصرية أو لهجة سعودية أو لهجة لبنانية لأنّ ذلك غير مجسد في الواقع، بل لا بد من تقسيم اللهجات الحديثة في الوطن العربي حسب المدينة أو القرية. فهناك مثلا لهجة قاهرية

ولهجة اسكندرانية ولهجة صعيدية، وفي الجزائر لهجة عاصمية، ولهجة تلمسانية، وغير ذلك.

وفي عصنا الحديث فإن للعربية كثيرا من اللهجات العامية المختلفة وليس للهجات العامية قواعد نحوية أو صرفية أو معاجم لمفرداتها وكلماتها أو طريقة لكتابتها وبعض اللهجات العامية تكون أقرب إلى الفصحى من اللهجات الأخرى.

ويقسم بعض المحدثين اللهجة إلى عائلية وضيعة مبتذلة، وأخرى رفيعة، وبينهما متوسطة، ويؤكد أن الإنسان يمكنه استعمال عدة لهجات بطريقة لا شعورية في حياته اليومية. فالمنخفضة لهجة البيت والمقهى والشارع. والمتوسطة لهجة المهنة والمكتب والعلاقات الاجتماعية. والرفيعة لهجة المناسبات الخاصة والخطب والمواقف العامة.

عناصر اللهجات العربية وقبائلها

ما روي عن علماء اللغة القدماء أن اللهجات العربية لها صفات خاصة؛ نسبها بعضهم إلى قبائل معينة، والبعض الآخر اكتفى بالإشارة إلى أن تلك الصفات كانت مما تقوله العرب في بيئتهم القَبَلية. وتتلخص هذه الصفات في التالي:

الجانب الإعرابي

يرى علماء النحو العربي أن هناك خلاف إعرابي نُسب إلى قبائل مُعينة، كالذي نسب إلى قبيلة تميم؛ التي تَنْصب تمييز "كَمْ" الخبرية مفرداً، أمّا لهجة غيرهم توجب جَرِّه و تجيز إفراده وجمعه. فيقولون: كَمْ قصيدةً حفظت؟ .. أما غيرهم يقولون: كَمْ قصيدةٍ حفظت؟

ونسب إلى بني أسد أنهم يصرفون مالا ينصرف بعلة الوصفية وزيادة؛ فيقولون: لستُ بسكرانٍ.

الجانب الصوتي

انعزال القبائل العربية في صحراء شبه الجزيرة العربية كان السبب في أن تأخذ طابعاً صوتياً خاصاً بهم، وقبائل أخرى مُتحضّرة عاشت في بيئة حضرية بالقرب من المُدن. بالتالي؛ أصبح لكلٍ من تلك القبائل المختلفة صفات صوتية خاصة بها.

ويكمن حصر صفات اللهجة بشكلٍ عام بين البدو والحضر في:

الميل للإمالة

تختلف الإمالة بين البدو والحجازيين، فالحجازيون يستخدمون الإمالة بالياء أو بالكسر بدلاً من الواو أو من الضّم؛ والبدو العكس. والإمالة هي الميل بالفتحة إلى الكسرة وبالألف

إلى الياء. وهي نوعان: إمالة كبرى وإمالة صغرى، فالإمالة الكبرى، ويقال لها البطح والإضجاع، هي أن ينطق بالألف مركبة على فتحة تصرف إلى الكسر كثيرا. والإمالة الصغرى حدها أن ينطق بالألف مركبة على فتحة تصرف إلى الكسرة قليلا.

قبيلة طيء أو قبيلة تميم؛ وكلاهما من البدو، أثّرت الضّم في أقوالهم، فيقولون: "حَوث"، بدلاً من "حيث".

قبيلة هذيل يقولون: "اللذون" بدلاً من "الذين".

الخفة والسرعة في النطق

السكينة والهدوء اللذان ينعمان بهما أهل البادية يجعل الحياة مطبوعة بالتراخي والكسل، حتى في النطق. فتميل القبائل البدوية إلى السرعة في النطق، وتبحث عن أيسر السُبل، فتدغم الأصوات بعضها في بعض، كالذي عرف عن بعض من بني تميم الذين يقولون: "محّم" بدلاً من "معهم". كما عرف عن قبائل عربية أخرى أنها كانت تقول: "الجعبة"، بدلاً من "الكعبة ". و"اجدمعوا"، بدلاً من "اجتمعوا"،

اللهجات الحديثة

ركز الكثير من علماء اللغة المحدثين في دراساتهم للهجات على اللهجة المِصرية؛ التي تسمى اللهجة القاهرية، التي احتفظت ببعض الصفات القديمة بالرغم من اختلاف نطق بعض كلماتها. بعض تلك الصفات تمثلت في الآتي..

الناحية الصوتية

فقدت اللهجة المصرية بعضاً من الأصوات العربية الفصحى، كـ" الثاء، والذال والظاء، والقاف"؛ واستبدلت بـ "التاء، و لدال، والضاد، والهمزة أو الجيم".

والميل إلى الاستفال في الكلام. والاستفال هو انخفاض اللسان عند النطق بالحروف إلى قاع الفم، ويقل التجويف الفمي، ولا يصعد الصوت إلى الجزء العلوي من الفم، ويكون صوتاً نحيلاً؛ فتُنْطق الصاد سيناً، والطاء تاءً، والضاد دالا، والظاء زايا مخففة.

وتختلف اللهجات العربية الحديثة في نطق القاف كثيرا، فينطق "ق"، أو "گ" في بوادي ليبيا، والخليج العربي، أو همزة في كل من مصر وسورية، أو "ك" في بوادي فلسطين.

كما نلحظ تطور صوت "الذال" الذي تطور في اللهجات الحديثة إلى "الدال"، فأصبح يُستعمل كلمات عدّة منها من أبقت عليه، ومنها من أبدلته بـ "الدال". نحو كلمة "هاذول" المُشتقة من اسم الإشارة "هؤلاء"، كان العرب القدماء يستخدمون كلمة "هاذول" للخطاب،

و"هؤلاء" للكتابات الأدبية. وهنا يتضح امتداد اللهجات القديمة؛ للحديثة مع تغيير شكلها، لكنها أبقت نفس المعنى. في شرق الأردن، وبلاد الشام كلمة يقولون: "هَاذُول"، وفي العراق يقولون: "ذُول، ذولا". في مصر يقولون: "دول، دولا". السودان يقولون: "ديل". وفي اليمن والمغرب العربي يقولون: "هاذَولْ".

الناحية الدلالية

لقد قام المجاز بدور كبير في تطور المعاني العامية؛ نحو كلمة "الهَمَج" التي كانت تعني البعوض، أصبحت تستعمل بمعنى "فوضويين". وكلمة "شَنَب" التي كانت تعني بريق الأسنان؛ أصبحت تستعمل بمعنى "شَارِب".

أما من ناحية التركيب فمثلاً، في لهجات الشام العامية يبدأ الفعل المضارع بالسابقة "ب"، والنفي يكون باستعمال "ما"، نحو قولهم: " أنا ما بعرف"، أما دول الشمال الأفريقي فتظهر اللاحقة "ش"، وتكون اللهجة المصرية وسطا بين الطرفين إذ تستعمل السابقة "ب" وتنفي باستعمال اللاحقة "ش"، نحو قولهم: " أنا ما بعرفش".

المستشرقون والغربيون واللهجات العربية

الاستشراق لغة هي كلمة مأخوذة من شرقت الشمس شرقاً وشروقاً إذا طلعت[66]، واسم الموضع: المشرق... والتشريق: الأخذ في ناحية المشرق، وشّرقوا ذهبوا إلى الشرق، وكل ما طلع من المشرق فقد شرق [67]، وفي الحديث: "لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شّرقوا أو غّربوا[68]"، وتتضمن كلمة الاستشراق معنى الطلب، أي الاتجاه نحو الشرق؛ وبمعنى أدق طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه.

ومفهوم الاستشراق orientalisme يعني: "علم الشرق أو علم العالم الشرقي[69] أو "ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته"[70]. ويقصد به أحياناً: "أسلوب للتفكير يرتكز على التمييز المعرفي والعرقي والأيدلوجي بين الشرق والغرب". ومرة يراد به: "ذلك العلم الذي تناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل من قبل علماء الغرب"[71].

ويرى بعضٌ أن مبدأ (الاستشراق) يعود إلى الراهب الفرنسي "جربر دوي أوريك " الذي قصد بلاد الأندلس الإسلامية، وتتلمذ على يد أساتذتها في إشبيلية وقرطبة، حتى أصبح أوسع علماء عصره اطلاعاً. وقد تقلَّد فيما بعد منصب البابوية في روما باسم سلفستر الثاني (999–1003م).

وهناك من ادعى أن بداية الاستشراق يعود إلى القرن الثاني عشر، حيث تمّت فيه ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية، وظهر فيه أول قاموس لاتيني – عربي.

وظهر مصطلح الاستشراق في الغرب منذ قرنين من الزمان، لكن البحث في لغات الشرق وأديانه وبخاصة الإسلام قد ظهر قبل ذلك بكثير.

ولعل كلمة مستشرق قد ظهرت قبل مصطلح استشراق، يرى آربري Arberry أنّ

([66]) لسان العرب: مادة: (ش ر ق).

([67]) المعجم الوسيط: مادة: (ش ر ق).

([68]) متفق عليه: رواه البخاري برقم 494.

([69]) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: محمود حمدي زقزوق، دار المعارف، القاهرة،1997م: 18.

([70]) الاستشراق في السيرة النبوية: عبدالله محمد الأمين، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة،1997م: 16.

([71]) نقد الخطاب الاستشراقي: ساسي سالم الحاج، ج1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002م: 20.

المدلول الأصلي لاصطلاح (مستشرق) كان في سنة 1638م[72]، في حين يرى الفرنسي مكسيم رودنسون Maxime Rodinson، أن مصطلح الاستشراق لم يظهر في اللغة الفرنسية إلا عام 1799م ، وظهر في اللغة الإنجليزية عام 1838م[73].

وإذا حاولنا إعطاء تعريف شامل للاستشراق فهو: دراسات أكاديمية تتناول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة وفي الشريعة وفي المجتمع وفي السياسة أو الفكر من قبل الغربيين ـ من أوربيين، وأمريكيين وبما في ذلك السوفيت ـ. ويمكن أن نُلحق بالاستشراق أيضاً ما يكتبه نصارى العرب ممن ينظر إلى الإسلام من منظار غربي.

ويمكن تلخيص نشأة الاستشراق وأهدافه في التالي:

1) بدأ الاستشراق في الشرق مطلع القرن العاشر، ولكن يعدّ عمله بشكل رسمي وآكاديمي في بداية القرن التاسع عشر، واستمر حتى القرن العشرين. تنوّعت أساليب الاستشراق خلال القرنين الماضيين، وتحوّلت إلى أشكال حديثة معظمها تدور حول دراسات في اللغة العربية وتاريخ الإسلام.

2) كان للاستشراق أهداف ودوافع مختلفة؛ من دينية واقتصادية واستعمارية وعلمية، والدافع العلمي يعد المحور الأساسي لدراساتهم في اللغة العربية.

3) الاستشراق جهد علمي من قبل الغربيين لدراسة تاريخ الشرق وديانـاته وثقافته وآدابه.

4) أنجز الاستعراب الروسي دراسات عميقة وتأليفات متنوعة حول تاريخ الإسلام واللغة العربية.

ما كتبه المستشرقون والغربيون عامة:

اهتم المستشرقون باللهجات العربية القديمة والحديثة، وكان لهم السبق في ذلك، وممن كتبوا عن اللهجات العربية القديمة: تشيم رابين، في كتابه الموسوم: "اللهجات العربية في غرب الجزيرة العربية"، وكتب عن اللهجات الحديثة كثير من المستشرقين منهم: جوستون، وكتابه: "دراسات في لهجات شرقيّ الجزيرة العربية". كما كانت للمستشرق الألماني يوهان فك دراسة مشهورة: "العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب". واهتم المستشرق السويدي كارلو لاندبرج Carlo Landberg بلهجة حضرموت، وجنوب الجزيرة العربية،

([72]) المستشرقون البريطانيون: ا. ج آربري، تعريب محمد الدسوقي النويهي، لندن: وليم كولينز، 1946م: 8 .

([73]) الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية في تراث الإسلام: مكسيم رودنسون، (القسم الأول) تصنيف شاخت وبوزورث، ترجمة محمد زهير السمهوري، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1398هـ-/1978م: 27.

فأصدر فيما بين عامي 1901-1913م كتابه عن لهجتي حضرموت ودثينة، وله كتاب بعنوان "لهجة بدو قبيلة عنزة".

ونشر المستشرق الألماني جورج كمبفماير G.Kampfmeyer بحثاً في لهجات الحجاز واليمن عنوانه "لهجة قبائل اليمن وما جاورها من جنوب الجزيرة العربية"، كما نشر العديد من البحوث في علم اللهجات العربية.

وخدم جورج كانتينو الدراسات اللهجية، بما جمعه في بحوثه عن منطقة شرقي الجزيرة العربية، فقدم عنها تحليلاً صوتياً كاملاً وآخر صرفياً مفيداً.

ونشر المستشرق الألماني ج.هس J.Hess بحثاً في (لهجة نجد الحالية) عُرض في مؤتمر المستشرقين الذي عُقِدَ في فيينا عام 1912م، كما نشر سنة 1938م كتاباً عن الملامح الصوتية والصيغ النحوية في لهجة قبيلة عتيبة.

وأسهم المستشرق النمساوي بتنر Maximian Bitiner في هذا المجال بدراساته للهجات جنوب الجزيرة العربية، فكتب عن اللهجات: المهرية، والسقطرية (لهجة سكان جزيرة سقطرة) والشحرية (لهجة قبائل الشحرة).

وكان المستشرق الايطالي اجنتسيو جويدي الذي يطلق عليه (جويدي الكبير) تمييزاً عن ابنه (مايكل انجلو - أوجويدي الصغير) عالم الساميات الشهير، عدة دراسات مؤلفات تعد من أهم المصادر التي كتبت عن لهجات جنوب الجزيرة العربية.

ودرس المستشرق روسي Rossi لهجة عدن وحضرموت.

ولم يذكر هذا الاهتمام عند الغربيين إلا في نهاية القرن الثامن عشر، حيث بدأت تدور بين العلماء "مناقشات تتعلق بمستوي الصواب اللغوي، وبمشكلة انقسام اللغة إلى لهجات، ومشكلة اللهجات الطبقية"[74].

وعلى الرغم من هذه المحاولات العلمية إلا أنها لم تلب الحاجة، فقد كان العلماء حتى ذلك الوقت غير محفزين لدراسة اللهجات وذلك للأسباب الآتية[75]:

- اتساع مجال البحث في اللغة الفصحى، فلم يكن لديهم متسع لدراسة اللهجات.

([74]) أسس علم اللغة: 231.

([75]) ينظر اللهجات العربية نشأة وتطورًا: 388.

- نظرة العلماء في ذلك الوقت- إلى دراسة اللهجات على أنها مصدر خطر على الأدب، ولذا ينبغي الاقتصار في الدراسة على الفصحى.

- دراسة اللهجات تتطلب الأسفار والرحلات، للوقوف على مصادرها من أصحابها.

وفي القرن التاسع عشر توصلت دراسات المستشرقين إلى نتائج ذات قيمة علمية كبيرة، حيث تركز الاهتمام على الصيغ اللهجية، وعلى أنواع من الكلام لم يكن يُنظر إليها وقتئذ إلا على أنها لغات تافهة لا تستحق الدراسة، وحيث أن اللهجات لم تكن - من جميع جوانبها- مسجلة في خلال تطورها التاريخي، فقد أدي هذا إلى توجه الاهتمام إلى اللغات الحية، ولهجاتها المتشعبة[76].

وأصبحت هذه الدراسات اللهجات عند المستشرقين حسب منظور إبراهيم أنيس: "من أحدث الاتجاهات في البحوث اللغوية، فلقد نمت هذه الدراسة بالجامعات الأوربية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين, حتى أصبحت الآن عنصرا هامًّا بين الدراسات اللغوية الحديثة, وأُسِّستْ لها في بعض الجامعات الراقية فروع خاصة بدراستها, تعني بشرحها, وتحليل خصائصها, وتسجيل نماذج منها تسجيلا صوتيًّا يبقي على الزمن"[77].

ومن أشهر المستشرقين الغربيين في دراسة اللهجات العربية التي تقدمت تقدمًا واضحًا على أيديهم في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، نجد (الأب روسلو)، الذي اهتم بالناحية الصوتية في اللهجات، و جيليرون، الذي درس اللهجات من الناحية الدلالية.

ما كتب عن اللهجات بأيدي علماء العربية:

فقد صب العديد من علماء اللغة في العصر الحديث اهتمامهم على الكتابة في علم اللهجات، فتناولت دراساتهم اللهجات القديمة والحديثة.

ما كتبه علماء العرب القدماء:

لم يترك علماء العرب القدماء مصنفا مستقلاً في اللهجات العربية، وليس معني ذلك أنهم أهملوها كلية، فكانت للكثير منهم مصنفات أطلقوا عليها اسم (اللغات)، ومن هؤلاء: يونس بن حبيب (تـ 283هـ)، والفراء (تـ 207هـ)، وأبو عبيدة (تـ 210هـ)، والأصمعي (تـ 212هـ)، وأبو يزيد الأنصاري (تـ 215هـ)، وغيرهم.

([76]) أسس علم اللغة: 234.

([77]) في اللهجات العربية: د/ محمد أحمد خاطر: 9.

كما كانت لهم كتب في "لغات القرآن" من ذلك (اللغات في القرآن) رواية ابن حسنون المقرئ المصري بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

وقد وردت إشارات كثيرة في كتب التراث على اختلاف اهتماماتها، إلى اللهجات العربية.

كما تناولت كتب الأقدمين موضوعات خاصة باللهجات، على نحو ما ورد في "الخصائص" لابن جني (تـ 392هـ)، الذي ضمه أبوابا، في " الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعدا"[78]، و"في تركيب اللغات"، و" اختلاف اللغات وكلها حجة"[79].

وأورد ابن فارس في مصنفه "الصاحبي" (تـ 395هـ) بابا "في اختلاف لغات العرب"[80]، وبابا في "اللغات المذمومة"[81]، وبابا في "انتهاء الخلاف في اللغات"[82].

وكان للسيوطي في "المزهر في علوم اللغة وأنواعها" آراء في الضعيف، والمنكر، والمتروك من اللغات[83]، والرديء المذموم من اللغات[84]، ومختلف اللغة[85]، وداخلها[86].

وازدهرت دراسة اللهجات العربية في العصر الحديث، فكانت رسالة حفني ناصف بعنوان "مميزات لغات العرب، تخريج ما يمكن من اللغات العامية عليها، وفائدة علم التاريخ من ذلك" أول دراسة للهجات ألقاها في مؤتمر المستشرقين الذي انعقد في فينا سنة 1886م، ثم ساهم إبراهيم أنيس بدراسة تحت عنوان "في اللهجات العربية" وتعدّ هذه الدراسة مصدرًا مهمّا لكل من كتب عن اللهجات في العصر الحديث.

([78]) الخصائص: ابن جني: 371/1. .

([79]) نفسه: 12/2.

([80]) ن ص.

([81]) الصاحبي: 28.

([82]) نفسه: 35.

([83]) المزهر: السيوطي: 214/1.

([84]) نفسه: 67.

([85]) السابق: 255/1.

([86]) نفسه: 262/1.

وقد خصص مجمع اللغة العربية بالقاهرة للدراسات اللهجية لجانًا خاصة، تضم عددًا كبيرًا من المتخصصين في هذا الشأن، وما ذلك إلا لأهمية هذا النوع من الدراسات، كما خصص لها الجامعات المصرية مساحات في مناهجها الدراسية[87].

التّركيب اللهجية:

البنية هي قوام اللّغة وعصبها، ولكن إذا نظرنا إليها نظرة شاملة، نجد أنّ البنية والتّراكيب لا تحقّقان وحدهما التّواصل على الوجه الأكمل، إذ تتداخل البنية، والنّظام الصّرفي والقاموسي في سياق محكم لتحقيق هذه الغاية. وتبدو لنا اللّهجة في هذا الإطار بمفرداتها ومركّباتها صرفا ونحوا على إباحة مطلقة، لأنّ قواعد اللّغة العربية لم تستطع أن تسيطر على ألسنة النّاس.

والبحث في المسائل المتعلّقة بترتيب الكلام يعتبر أحد أقسام علوم اللّسان[88]، الذي يرمي أوّلا إلى النّظر فيما جاء مرتّبا من الكلام، ومن الممكن أن ينشأ في اللّهجة على نسق واحد بين المتكلّم والمخاطب، وفق نماذج مثالية مكوّنة من قبل في الفكر، بما يعرف عند تشومسكي بالكفاية اللّغوية، وهي معرفة المتكلّم المستمع المثالي للّغة، أي القدرة الّتي يمتلّكها المتكلّم المستمع المثالي للغته[89]، والتي تخوّل له إنتاج عدد لا حصر له من جمل لغة بيئته الأولى، اعتمادا على الإمكانيات الكامنة عنده، الموقوفة على مجموعة من العادات الكلامية المشكّلة في ذهنه.

وتتجسّد العملية الآنية التي يؤدّيها مستعمل اللّهجة بهدف صياغة تراكيبه وتفهّمها تبعا للنّظام الّذي يضمن الرّبط بين الأصوات، وما تحمله من معان على أساس أنّ اللّهجة أداة، وتعني الجانب الأوّل لها، وهو الصّوت[90]، إلى جانب المفهوم للتّبليغ والتّخاطب[91]. لأنّ

([87]) نظر دراسات في اللهجات العربية: 4.

(88) يقابله في العربية علم قوانين الأطراف المخصوص بمعجم النّحو، ويقابله في الإغريقية لفظة SUNTAXIS، فهي من SUN بمعنى "مع" وTAXIS أي التّركيب. ينظر مدخل في اللّسانيات، صالح الكشو، الدار العربية للكتاب، 1985م: 7.

(89) البنية التّركيبية في رحاب اللّسانيات التوليدية التواصلية، أحمد حساني، مجلة تجليات الحداثة، معهد اللّغة العربية وآدابها جامعة وهران، العدد الأوّل، 1992م: 74.

(90) يرى اللّسانيون أنّ تطوّر اللّغات في جانبها الصّوتي أسرع وأكثر تنوّعا من تطوّرها في جوانب الصيغ، والنّحو، والمفردات، والأساليب، ولعلّ السّبب واضح في هذا، وهو أنّ الجانب المنطوق في اللّغة يمارس حرية أكثر من الجانب المكتوب. ينظر المنهج الصوتي للبنية العربية، عبد الصابور شاهين، بيروت (لبنان): مؤسسة الرسالة، دط، 1406هـ 1980م: 10-11.

(91) ينظر أثر اللّسانيات في النهوض بمستوى مدني اللغة، عبد الرحمان الحاج صالح، مجلة اللّسانيات، عدد 1، 1971م: 32.

المعروف عن النّاس، إنّما يكلّم بعضهم بعضا ليعرف السّامع غرض المتكلّم ومقصوده[92]، فإن تحقّق الفهم معناه حصل التّواصل بين الطّرفين المساهمين جدليا في وجود الكلام واستمراره.

وصلة اللّهجة بالحياة العامّة – التي تتطلّب البساطة في كلّ الأمور المتعلّقة بالحياة – جعلت المتحدّثين يتخلّصون من مجاري أواخر الكلم[93]، لأنّها ليست من موقوفاتها لصعوبتها[94]، وليست أيضا أمرا جوهريا في عمليات الفهم والإفهام[95] والتّفكير[96] على

---

(92) ينظر دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تقديم علي أبو رقية، سلسلة أنيس الأدبية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1991م: 347.

(93) كان العرب يقفون بالسكون في حالتي الرفع والجر، مثل: جاء خالدْ، ومررت بخالدْ، وعدا ذلك فهو ضرب من اللّحن، ينظر ضحى الإسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، ط10: 295/1. ويشير الجاحظ في هذا الصّدد بقوله: "وإن وجدتم في هذا الكتاب لحنا، أو كلاما غير معرب، أو لفظا معدولا عن جهته، فاعلموا أنّنا تركنا ذلك، لأنّ الإعراب يبغض هذا الباب ويخرجه عن هذه. إلاّ أنّ أحكي كلاما من كلام متعاقلي البخلاء وأشحاء العلماء". نقلا عن التطوّر اللّغوي التاريخي، إبراهيم السمرائي، المرجع السابق: 62. ويستدلّ الدكتور إبراهيم في هذا، بخلو اللّهجات الإقليمية الحديثة من الإعراب على عدم شيوعه في اللغة العربية في مراحلها الأولى. المرجع نفسه، ص56. وإنّ إغفال الإعراب كان من الأمور السائدة في اللّهجات، ومعنى ذلك أنّ النّاطقين بها يجرون في ذلك على فطرتهم العامية التي تتخفّف من القيود، وتميل إلى الإيجاز، وطبيعي أنّ الإعراب قيد كان ثقيلا على كثير من النّاس في سائر عصور العربية، ينظر المرجع نفسه: 161.

(94) هذه الصعوبة وقف عندها القدماء في مناسبات عديدة، منها موقف ابن الأثير (ت 238) في (المثل السائر) من الأبواب النّحوية التي لا نحتاج إليها في إفهام المعاني. ينظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد العوفي وبدوي طبانة، 44/1. وأبدى ابن خلدون (ت 808هـ) إزاء عدم ملاءمة كتب النّحو في عصره للتعلّم والتعليم موقف الرافض لها بحكم أنّها في منظوره لا تربّي أية ملكة عند المتكلّم. ينظر المقدمة، ابن خلدون، المصدر السابق: 508-512. أمّا مواقف العلماء، التي دعا فيها أصحابها إلى تيسير النّحو في العصر الحديث، منها موقف الشيخ محمد عبده الذي طالب بتسهيل الأسلوب في الكتابة، وامتعض الشيخ حسين المرصفي من معوقات تعليم النّحو. ينظر معالم التطوّر في اللّغة العربية وآدابها، محمد خلف الله أحمد، ص31. واتجه أحمد فارس الشدقياق في مؤلفه (غنية الطالب ومنية الراغب) نحو النّزول عند مطالب العصر في هذا الشأن، وتبعه في ذلك ناصف اليازجي. وأخذت هذه الدعوة التيسيرية طابعا رسميا بمصر حين شكلت سنة 1938م لجنة يترأسها طه حسين لدراسية إمكانية تسهيل النّحو، وخلص عملها بتقديم اقتراح في المسعى خاص بالنّحو، والصّرف، والبلاغة، وقد نحى هذا المنحى فريق من دار العلوم بتقديم اقتراح رأوا فيه بضرورة الاستغناء عن الإعراب التّقليدي. ينظر اتجاهات البحث اللّغوي الحديث في العالم العربي، رياض قاسمبيروت (لبنان): مؤسسة نوفل، ط1، 1982م: 107-108-109.

(95) ينظر مقدمة ابن خلدون موضوع الفصل التّاسع والثّلاثون: في أنّ لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلّة مغايرة للغة مضر وحمير، والفصل الأربعون في أنّ لغة أهل الحضر والأمصار لغة قائمة بنفسها مخالفة للغة مضر.

(96) "لو أنّ للإعراب ضرورة للفهم والإفهام، لبقي ولحافظت عليه جميع اللّغات التي كانت معربة. ولكن لكونه غير ضروري تسقط، وأصبح التكلّم والتّفكير بلغة محكمة سلسة سيّالة لا تعوق الفكر ولا تتطلّب جهدا". ينظر اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي، رياض قاسم، بيروت (لبنان): مؤسسة نوفل، ط1 ،1982م: 164. ويرى أنيس فريحة، أنّ " الإعراب ليس له قيمة بقائية، ولو أنّه كان ضروريا للفهم والتّفاهم لأبقت عليه الحياة، ولكن لأنّه زخرفها، ولأنّه بقية من بقايا العقلية القديمة في اللّغة، بل في كلّ لغة، فإنّ الحياة نبذته". ويضيف قائلا: " إنّ الإعراب عقبة في سبيل التّغير، وذلك ممّا لا شكّ فيه". ينظر نحو عربية ميسّرة، أنيس فريحة، بيروت (لبنان)، الدار الثّقافية، 1955م: 174.

اعتبار أنّها تتميّز بشذوذية التّراكيب[97]، في اكتفائها بتطبيق عام للقوانين التي تسيّرها لا غير، فهي خاضعة للتّداعي والتّرابط بين الكلّمات. لأنّ اللّغة تفهم اعتمادا وحصريا من خلال فهم العلاقات بين أجزائها، بغضّ النّظر عن العوامل الخارجية، هذا ما جعل البنيويين يعتبرونه طرحا اجتماعيا، وليس لسانيا، لأنّ اللّغة عندهم إذا كانت ظاهرة مستقلّة لها حياة خاصة بها، كأنّها مؤسسة قائمة في حدّ ذاتها تدرس، بحسب تمثيل سوسير.

ولا شكّ أيضا أنّ اللّهجة تحكمها أعراف كلامية يراعيها المتكلّم بدقّة، ويصدر عنها كلامه[98]، ولكنّه لا يشعر بالعناء، بل إنّه لا يكاد يفكر فيها لأنّها عنده لا تزيد على عادات اعتمدها[99] منذ أن تعلّم اللّهجة في محيطه. ولذا يجب التمييز بين ما هو تركيب لساني عام خاضع لقوانين لغوية[100]، وبين ما هو تركيب كلامي عفوي متمرّد، ظلّت على إثره العلاقة الإعرابية في الممارسة التّواصلية ضيّقة[101]، بحيث أنّ مفرداتها تظلّ ثابتة على هيأة واحدة لا تتغيّر مهما كانت وظيفتها، نحو قولهم: "جَا خَاكْ (جاء أخوك)"، "رِيتْ خَاكْ[102] (رأيت أخاك)"، "مْشِيتْ مْعَ خَاكْ (مشيت مع أخيك)". كما أنّها أي اللهجة،

---

(97) ترى نظرية الشذوذية أنّ عملية التواصل لا تقتضي بالضرورة قواعد محدّدة لتراكيب بسيطة وساذجة. ينظر دراسات لسانية في الساميات واللهجات العربية القديمة، عبد الجليل مرتاض، المرجع السابق: 129.

(98) فالعرب أيضا نطقت على طبعها وسجيتها وعرفت مواقع كلامها وقامت في عقولها علله. ينظر الكتاب، سيبويه، المصدر السابق: 272.

(99) ويرى لوسركل: أنّ اللّغة "هي التي تتكلّم" وليس أنا الذي أتكلّم"، فاللّغة عنده تسيطر على محدثيها ولو بطريقة غير شعورية، فقواعد النّحو تمارس التّسليط على المتكلّم. ينظر عنف اللّغة، جان جاك لوسركل، ترجمة وتقديم محمد بدوي، مراجعة سعد مصلوح، لسانيات ومعاجم بيروت المنظمة العالمية للترجمة، 2005م: 36.

(100) يرى مارسيل كوهير Marcel Coher: أنّ القواعد الإعرابية المتشعّبة الدّقيقة لم تكن مرعاة إلاّ في اللّغة الفصيحة، أمّا لغة التّخاطب، فلم تكن معربة، ويستدل في ذلك بأنّ القواعد شأنها في التشعّب والدقّة وصعوبة التّطبيق وما تتطلّبه من الانتباه وملاحظة عناصر الجملة وعلاقة بعضها ببعض، فهذا غير ممكن في لغة التّخاطب. ويذهب أنيس فريحة: إلى اعتبار الإعراب زينة يمكن الاستغناء عنه، بتوجيه العناية إلى أحكام التّركيب بالتّركيز على الجملة المفيدة وعناصرها. ينظر تبسيط قواعد اللّغة العربية على أسس جديدة (اقتراح ونموذج) أنيس فريحة، بيروت (لبنان): منشورات الجامعة الإمريكية 1959م: 42. أمّا يوهان فك فهو يرى أنّ الحركات صفة تنفرد بها العربية الفصحى دون غيرها من اللّهجات التي انبثقت عنها. ينظر العربية: دراسات في اللغة واللهجات واساليب، المرجع السابق: 121 .

(101) لهجة المتكلّم انفعالية لا يسيطر عليها المنطق ولا يتحكّم فيها العقل، وهي لغة خفيفة الحركة، يكثر فيها استعمال أشباه الجمل، وتقتصر على الاهتمام بأبرز رؤوس الفكرة، أمّا الرّوابط المنطقية التي تربك الكّلمات أو أجزاء الجمل بعضها ببعض، فقد يشار إليها إشارات جزئية يستعان فيها بالتّنغيم والإشارة إذا اقتضى الحال. ينظر علم اللّغة بين التراث والمعاصرة، عاطف مدكور، المرجع السابق: 137-138.

(102) وهي لغة بلحارث بن كعب، فهم يقولون: "مررت برجلان، وقبضت منه درهمان، وجلست بين يداه وركبت علاه". ينظر التطوّر اللّغوي التاريخي، إبراهيم السمرائي، بيروت (لبنان): دار الأندلس، د ت:61.

تستغني عن أصوات المدّ القصيرة (الحركات) التي تلحق أواخر الكلّمات سواء في ذلك ما كان منها علامة إعراب، أو ما كان منها حركة بناء. فالوظيفة النّحوية في المثل السّابق اقتصرت على علاقات مواضع الكلّمات بما يعرف بمورفيمات ترتيبية، لا على إعرابها. فـ "جا خاك" عوض من " أخوك"، فإنّها لم تعق عملية التّبليغ[103]، ففهم عناصر الجملة كما يخصّها به المتكلّم، حدث دون لبس من خلال التّركيب البسيط لها، بمعنى أنّ الأغراض المعقولة والمعاني المدركة تتحقّق بالأسماء، والأفعال، والحروف التي تزخر بها اللّهجة، من دون مراعاة قوانين أحوال التّركيب التي تقيّدت بها الفصحى.

ولهذا السّبب أخذت الأصوات السّاكنة[104] أكبر قسط في اللّهجات الحديثة دون أن يحدث تشويش في المعنى أو اضطراب في النّظام التّأليفي للجملة[105]، ومردّ ذلك إلى سببين رئيسين:

الأوّل لما لها من وضوح في الجرس، والثّاني سهولة نطقها[106]، وإخراج اللّفظ بأقلّ جهد لإظهار المعنى بسرعة.

وهذه السّكنات منها ما أبدلت عن الحركات غير الإعرابية في:

1) أوّل الكلّمات[107]. 2) في ثنايا الكلمات.

واجتماع السّواكن في الكلمة الواحدة.

---

(103) البيان والتبيين، الجاحظ: 62/1.

(104) المتواصلة منها مستكرهة في العربية، قلما تستقيم على لسان المتكلّمين، ولتجنّبها تستخدم همزة الوصل كوسيلة صوتية، ينظر العربية مبناها ومعناها، تمام حسان، المرجع السابق: 279. على نحو الفصحى التي تدلّ فيها بعض الموازين على أنّها كانت تبتدئ بالسّاكن في مراحلها الأولى، كـ: "اجفيل" و"اخريط"، و"اعشوشب" ثمّ تطوّرت فأضافوا الهمزة توصلا إلى النّطق بالسّاكن. ينظر تهذيب المقدمة اللّغوية، للعلالي، أسعد علي: 81.

(105) يرى اللّساني الإنجليزي FIRTH: أنّ اللّغة وظيفة اجتماعية، وإنّ إنتاج الأشكال اللّسانية تتمّ في إطار سياق الموقف الاجتماعي، والثّقافي، ويعدّ المعنى في نظره مجموعة مركّبة من العلائق السّياقية، وعلى الدّراسة التّركيبية، والمعجمية، والدّلالية أن تعالج مكوّنات هذه المجموعة في إطار سياقها المناسب. ينظر مباحث في اللّسانيات، احمد حساني، المرجع السابق: 154.

(106) ينظر فقه اللغة العربية، علي عبد الواحد وافي، بيروت (لبنان): دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1972م: 20.

(107) تختلف بها عن الفصحى التي تقتضي مقاطعها البدء بمتحرك. ينظر المنهج الصوتي للبنية العربية ، عبد الصابور شاهين: 41.

وتقتضي المجاورة، والمجانسة، والتّناغم بين الأصوات مخالفة الضّوابط[108] في العديد من ألفاظ اللّهجة، مثل قولهم: "أَدِيبْ (الذئب) كِ يْضِيّفْ يَعْمَلْ حِيمْصَه فَاطَاجِينْ (في الطاجين)". فصوت اللّين القصير الكسرة في "حاء" كلمة "حيمصه" أبدل عن الضمّة حسب مقياس لهجة تلمسان، وهذا الإبدال تأثّرت به علامة الصّاد فتحرّكت بفتحة لتحافظ على تركيبها الصّوتي المتكوّن من مقطعين، منفتح قصير زائد منغلق طويل.

والكسرة النّائبة عن الفتحة في قولهم: "دِ ريَّبْ حِيطْ أَنَاسْ (النّاس) رَبِي يْجِيبْ دِ يريّب لوَ حِيطُو (حائطه)". فـ"حيط" أصلها حائط قلبت الهمزة ياء، فأصبحت بها الكلمة "حايط" فاستثقلت لالتقاء الساكنين، فحذفت منها الألف، وغيّرت حركة الحاء بما ينسجم مع الياء، وتنطق في جهات أخرى "حَيْطْ"، بفتح الحاء وإسكان الياء.

فتح ما كان أصل حركته كسرة على النّحو الذي شاع عندهم: "لمدْفَعْ"، بدل من "مِدْفَعْ"، لأنّ الكسرة التي بعدها سكون تكون أثقل على اللّسان من الفتحة التي يليها ساكن.

كما اعتاد أصحاب اللّهجة على عادة إشباع حركات الأصوات [109] مثل قولهم: "هَادْ ادَّارْ(الدار) فِيهَا لْبَرَاكَه ".

وهذا السّلوك اللّغوي الخاضع لقوانين التطوّر الصّوتي تلاشت معه حركات اللّين الطويلة في آخر الكلّمات، على نحو قولهم: "كِ عِيسَ كِ مُوسَ".

تضعيف غير المضعّف[110]: الأفعال في صيغة المضارع المسندة إلى ضمائر الجمع تضعّف فاؤها، مثل: "يْلَّعْبُو"، و"يْشَّرْبُو"، و"يْضَرْبُو (يضربون)".

ومن خصائص اللّهجة أيضا، حرية التصرّف في عناصر التّركيب، منها التي حافظت عليها بلا قياس، ودون مخالفة الأصول العامة من غير أن يقع إهدار، أي التّعبير عن صور الأفكار في جمل لا عيب في تراكيبها، بما يعرف عند اللّسانيين بتطابق بنى اللّهجة مع البنى الفكرية، بحيث لا يتعذّر بهذه الحال معرفة الفاعل من المفعول في قولهم: "تَضَلَّلْ (تظلّل) السَّجْرَه (الشجرة) الصَّخْرَه، وَتْقُولْهَا (تقول لها) كحزي (ابتعدي) لْهِيهْ". فيلتزم احترام التّرتيب، الفاعل أوّلا والمفعول به ثانيا[111]، دون التقيّد المطلق بالقاعدة، وهو نمط واقعي،

---

(108) حركة الضمّة قليلة إذا قيست بالحركات الأخرى.

(109) تميّزت بها الفصحى كذلك. ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، الأنباري: 23.

(110) ظاهرة نفر منها القدامى. ينظر معجم شمال المغرب، عبد المنعم سيد عبد العال: 100.

(111) أورد السيوطي في هذا الشّأن قاعدتين: "الفاعل كجزء من أجزاء الفعل، والأصل تقديم الفاعل وتأخير المفعول، قال أبن النحاس: "إنّما كان الأصل في الفاعل التقديم لأنّه ينزل من الفعل منزله الجزء ولا كذلك المفعول". ينظر الأشباه

لأنّ الأسلوب المتّبع في تركيب هذا المثل يسير على قواعد صادرة عن السجية الفطرية[112]، وتنطلق بصورة عفوية من موضوع وخبر وتكملة، يتألف من ركنيين أساسيين، الرّكن الأوّل: هو موضوع الحديث عنه "الشجرة"، أمّا الرّكن الثاني: فهو ما قبل عن المتكلّم عليه "تظلّل"، الذي تقوم عليه الجملة بمعنى الخبر عن الموضوع. أمّا "تقولها (تقول لها) كحزي لهيه" عناصر تكملة. وهذا التّركيب اعتمد على نموذج الكلام لا على أساس حركات الإعراب، أي: أنّ المعنى لعب فيها الدّور الرئيس في تحديد عناصر الجملة التي يدركها السّامع بالحسّ، لا بالعقل كما هي الحال في الفصحى.

وإذا أردنا أن نوضّح أكثر إحداث التّركيب الفطري لعناصر الكلام في اللّهجة، نجد طاقة التّحليل الحسّي الفردية، هي التي تخصّص المكان لهذا اللّفظ أو ذاك كما في قولهم: "رَبِّي يَعْرَفْ مَيْمُونَه ،وْمَيْمُونَه تَعْرَفْ رَبِي"[113]. فحسب هذا التّرتيب، فـ "ربّي" في المحلّ الأوّل، و"مَيْمُونَه" في المحلّ الثّاني بعد الفعل "تَعْرَفْ"، فربي هو يعرف، وميمونه المعروفة عنده، والمعنى يختلف في تغيير العنصرين في التركيب الثّاني.

والنظائر، تحقيق أحمد العوفي، و بدوي طبانة: 62/2 وما بعدها. واعتبر علماء العربية أنّ الفاعل بنيويا بمثابة جزء من الفعل الذي يسبقه، أي أنّ الفعل وفاعله الذي يكونان معا وحده نحوية لا انفصام فيها، وهذا ما استنتجه الدكتور عثمان أمين "بأنّ الفعل لا يستقلّ بالدّلالة دون الذات، وأنّ الذات متّصلة بالفعل في تركيبه الأصلي". ينظر فلسفة اللّغة العربية، عثمان أمين، د.ط، د.ت: 15.

(112) اعتبر شومسكي هذا السلوك من مميّزات الحدس عند بناء اللّغة من حيث القدرة على الحكم على جمل معيّنة بأنّها واضحة مقبولة أو غامضة مرفوضة، أي أنّ الحدس دليل مستقل وأصلي في الحكم على الجمل. ينظر مبادئ اللّسانيات، أحمد محمد قدور: 258.

(113) مثل يضرب على بديهيات الأمور.

المقاطع اللهجية في الأشعار الجاهلية

يرى بعض العلماء أن الأدب الجاهلي لا يمثل اللغة الجاهلية[114]. وأن هناك خلافا جوهريا بين لغة حمير (وهي العرب العاربة)، ولغة عدنان (وهي العرب المستعربة) لسببين:

الأول: ما قاله أبو عمرو بن العلاء: ما لسان حمير بلساننا، ولا لغتهم بلغتنا.

والثاني: أن الدراسات الحديثة أثبتت خلافا جوهريا بين اللغة التي كان يصطنعها الناس في جنوب البلاد العربية، واللغة التي كانوا يصطنعونها في شمال هذه البلاد. فالقحطانية شيء، والعدنانية شيء آخر.

إن اليمنيين قد اتخذوا لغة العدنانيين لغة أدبية لهم، ينشئون بها شعرهم ونثرهم الفنيين، فيقبل هذا القول على أنه " حق لا يحتمل شكا ولا جدالا بعد ظهور الإسلام، لأن اللغة العربية الفصحى، وهي لغة الدين الجديد، ولغة القرآن، أصبحت لغة رسمية، ثم لغة أدبية للدول الإسلامية كلها. أما قبل الإسلام، أن السيادة السياسية والاقتصادية – التي من شأنها أن تفرض اللغة على الشعوب – قد كانت للقحطانيين دون العدنانيين.

اختلاف اللهجات:

ذهب بعض العلماء إلى أن قبائل عدنان لم تكن متحدة اللغة، ولا متفقة اللهجة قبل أن يظهر الإسلام. وكان من البديهي أن تختلف لغات العرب العدنانية، وتتباين لهجاتهم قبل ظهور الإسلام ... فإذا صح هذا كله كان من المعقول جدا أن تكون لكل قبيلة من هذه القبائل العدنانية لغتها ولهجتها ومذهبها في الكلام، وأن يظهر اختلاف اللغات وتباين اللهجات في شعر هذه القبائل الذي قيل قبل أن يفرض القرآن على العرب لغة واحدة ولهجات متقاربة، ولكن لم يكن شيء من ذلك في الشعر الجاهلي، فالمعلقات التي هي عند بعضهم نموذج الشعر الجاهلي الصحيح، فيها مطولة لامرئ القيس وهو من كندة أي من قحطان، وأخرى لزهير، وأخرى لعنترة، وثالثة للبيد، وكلهم من قيس، ثم قصيدة لطرفة، وقصيدة لعمرو بن كلثوم، وقصيدة أخرى للحارث بن حلزة، وكلهم من ربيعة. فهذه القصائد السبع ليس فيها شيء يشبه أن يكون اختلافا في اللهجة، أو تباعدا في اللغة، أو تباينا في مذهب الكلام. والألفاظ مستعملة في معانيها كما تجدها عند شعراء المسلمين، والمذهب الشعري هو هو. كل شيء في هذه المعلقات يدل على أن اختلاف القبائل لم يؤثر في شعر الشعراء، والسبب مرده إلى أمرين، إما أنه لم يكن هناك اختلاف بين القبائل العربية من عدنان وقحطان، لا

---

(114) السابق: 88 وما بعدها.

في اللغة، ولا في اللهجة، ولا في المذهب الكلامي، وإما أن هذا الشعر لم يصدر عن هذه القبائل.

فالشعر الذي وصلنا من العصر الجاهلي يدل دلالة قاطعة على أن القبائل العربية الشمالية قد اصطلحت فيما بينها على لهجة أدبية فصحى، كان الشعراء على اختلاف قبائلهم وتباعدها ينظمون فيها شعرهم[115]، وأن هذه اللغة، التي يطلق عليها " اللغة المشتركة"، قد انصهرت فيها اللهجات العربية، وتفاعلت في عملية تنقية وتهذيب، فما استجيد منها ضُمّ إلى الفصحى رصيدا لغويا. وما استقبح نفي عنها. لأن هذه اللغة الموحدة هي التي تستوعب كل الاحتياجات على المستويات العليا، وتتسع لإلقاء الخطب في المؤتمرات، وصياغة الاتفاقيات، وإبرام المعاهدات، وإلقاء الشعر في الأسواق، وإن الذين يتعاملون بها هم صفوة من الناس، تميزوا من غيرهم بسعة الثقافة، ورقة الإحساس، ورفعة الذوق، فكان لا بد أن تكون لهم لغة خاصة تستعلي على لغة الحياة اليومية، وما فيها من لهجات، رأوا أنها معيبة وقبيحة، يجب الترفع باللغة النموذجية عنها. قال **بروكلمان**: "ولا شك أن لغة الشعر القديم هذه لا يمكن أن يكون الرواة والأدباء اخترعوها على أساس كثرة من اللهجات الدارجة، ولكن هذه اللغة لم تكد تكون لغة جارية في الاستعمال العام، بل كانت لغة فنية قائمة فوق اللهجات، وإن غذتها جميع اللهجات"[116].

واللغة المشتركة التي ذابت فيها الفوارق اللهجية، وانعدمت خلالها الميزات القبلية، صحّ أن يكون كل من: امرئ القيس والنابغة، والأعشى، وزهير، وبشر بن أبي خازم ... جوابا عن: من أشعر الناس؟.

فلو كان كل شاعر من هؤلاء ينظم شعره بلغته الخاصة ولهجة قبيلته، فمن يكون الحكم، ولأي لهجة تعطى الأولوية، وفيمَ تتبارى الهمم، وتتنافس القدرات، إذا لم تكن وحدة اللغة قاسما مشتركا حتى يمكن المقارنة والموازنة، وبالتالي المفاضلة. قال إبراهيم أنيس: " كان لا بد لأولئك الشعراء الذين جاؤوا من بيئات متباينة أن ينظموا شعرهم بلغة خالية من عنعنة أو عجعجة أو كشكشة لينال إعجاب سامعيه، ولا يكون موضع سخريتهم وهزئهم، وإلا فكيف كان من الممكن أن يفضل شاعر على شاعر في تلك المناظرات إذا كان القياس مختلفا ، وأداة القول متباينة "[117].

---

(115) ينظر العصر الجاهلي: شوقي ضيف: 131.

(116) ينظر تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان: 42/1.

(117) ينظر في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس: 39 – 40.

قال ابن هشام في شرح الشواهد : "كانت العرب ينشد بعضهم شعر بعض، وكل يتكلم على مقتضى سجيته ومن هنا كثرت الروايات في بعض الأبيات [118]، وبذلك كانوا يرون أن الشعر العربي كان يحمل خصائص لهجات صوتية ودلالية. يروى عن الأصمعي أن رجلين اختلفا في كلمة (صقر) أهو بالصاد أم بالسين؟ فاتفقا أن يحكم أول وارد عليهما، فقال: "لا أقول كما قلتما، إنما هو الزقر"[119].

إن الشعر الجاهلي لا يمثل لهجة بعينها، وإنما انتشرت فيه خصائص كثيرة[120]، فذو الرمة مثلا تأثر بعنعنة تميم وهو ليس منها:

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ** ماء الصبابة من عينيك مسجوم

والعنعنة في لهجة قيس وتميم هي جعل الهمزة المبدوء بها عينا (أنك: عنك).

قال لبيد بن ربيعة:

سقى قومي بني مجد وأسقى ** نميرا والقبائل من هلال

فأسقى وسقى بمعنى واحد وبلغتين مختلفتين[121].

قال طرفة بن العبد:

أبلغ قتادة غير سائله ** مني الثواب وعاجل الشكم

وأراد بكلمة شكم (الشكر).

وقال علقمة الفحل:

أم هل كبير بكى لم يقض عبرته ** إثر الأحبة يوم البين مشكوم

قال آخر:

أناس ما انقضوا حتى ** تقضى الحمد والشكد

---

(118) ينظر المزهر: 261/1.

(119) ينظر الخصائص: ابن جني: 372/1.

(120) نفسه: 370/1.

(121) نفسه: 370/1.

وروي لآخر:

أنت أسيدتها إليّ فإن أشكرك فأنت موضع شكب

فالألفاظ الواردة في الابيات السابقة (الشكم، والمشكوم، والشكد، والشكب) هي لمعنى واحد في لغات مختلفة، وهناك من يرى غير ذلك.

قال زهير بن قيس:

ومجنبات ما يذقن عدوفة ** يقذفن بالمهرات و الأمهار

عدوفة بدال مهملة، ومنهم من يرى أنها عذوفة بذال معجمة، قال ابو عمرو: "لم أصحف أنا ولا أنت، تقول ربيعة هذا الحرف بالذال المعجمة، وسائر العرب بالدال المهملة، منها قبيلة ربيعة"[122].

ومما روي بالسين والشين قول الكميث:

وغادنا على حجر بن عمرة ** قشاعم ينتهشن وينتقينا

قال الأصمعي نهشته الحية ونهشته إذا عضته، والنهس والنهش هو أخذ اللحم بمقد الأسنان، وإبدال الأصوات ظاهر في اللهجات العربية.

قال هوبر الحارثي:

تزود منا بين أذناه ضربة ** دعته إلى هابي الترابعقيم

أذناه بالألف والواجب أن تكون بالياء للإضافة.

وقال العجاج:

وحى لها القرار فاستقرت ** وشدّها بالراسيات الثبت

أراد أوحى، والعرب تقول أوحى ووحى.

قال ذو الأصبع العدواني:

اجعل مالي دون الدنا غرضا ** وما وهي ملأمور فانصدعا

وحذف النون من (من) هي من لغة العرب.

---

(122) لسان العرب: ابن منظور: مادة (ع د ف).

ثبت المصادر والمراجع

المصادر

(1) الأشباه والنظائر في النحو: جلال الدين السيوطي، تحقيق أحمد العوفي، و بدوي طبانة.

(1) البرهان في علوم القرآن: الزركشي بدر الدين: تح محمد ابو الفضل، ط1، الحلبي الثانية.

(1) التكملة، وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضدي، ابن أحمد الفارسي (أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي288 – 377هـ)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1984م.

(2) الخصائص: ابن جني (أبو الفتح عثمان، تحقيق محمد علي النجار، بيروت(لبنان): عالم الكتب، ط3، دار الكتب المصرية، 1952م.

(3) الخصائص: ابن جني، (أبو الفتح عثمان بن جني)، تحقيق محمد علي النجار، بيروت (لبنان) : عالم الكتب، ط2، دار الكتب المصرية، 1958م.

(4) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تقديم علي أبو رقية، سلسلة أنيس الأدبية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1991م.

(5) شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق أبو جناح، العراق: دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1402هـ/1982م.

(6) الكافية في النّحو: ابن الحاجب، تحقيق يوسف أحمد المطوع، القاهرة: دار التراث العربي للطباعة والنشر، د ت.

(7) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة.

(8) المفصّل في علم العربية: الزمخشري، بيروت (لبنان): ط2، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة.

(9) المنصف، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني: ابن جني(أبو الفتح عثمان بن جني)، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1، 1954م.

(10) المزهر في علوم العربية وأنواعها: السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر 911هـ)، شرح وضبط وتصميم محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1958م.

(11) المقدمة، ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن خلدون)، الدار التونسية للنشر، 1984م.

(12) مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، تح: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415 هـ / 1995 م.

المراجع

(13) أثر اللّسانيات في النهوض بمستوى مدني اللغة، عبد الرحمان الحاج صالح، مجلة اللّسانيات، عدد1،1971م.

(14) أساليب الاتّصال والتّغيّير الاجتماعي: محمود عودة، دار المعرفة الجامعية،1998م.

(15) أسس علم اللغة المؤلف: أحمد مختار عمر الناشر: عالم الكتب الطبعة: الطبعة الثامنة 1419هـ-1998م.

(16) الأصوات اللّغوية: إبراهيم أتيس، القاهرة: مكتبة الإنجلو مصرية، 1975م.

(17) البنية التّركيبية في رحاب اللّسانيات التوليدية التواصلية، أحمد حساني، مجلة تجليات الحداثة، معهد اللّغة العربية وآدابها جامعة وهران، العدد الأوّل، 1992م.

(18) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي: أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف، دار المعارف.

(19) تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان، تح: عبد الحليم النجار، رمضان عبد التواب، دار المعارف، 1977م.

(20) تاريخ العرب قبل الإسلام: جواد علي "طبع بغداد".

(20) تبسيط قواعد اللّغة العربية على أسس جديدة (اقتراح ونموذج) أنيس فريحة، بيروت (لبنان): منشورات الجامعة الأمريكية 1959م.

(21) اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي: رياض قاسم، بيروت (لبنان): مؤسسة نوفل، ط1، 1982م.

(22) التّطبيق الصّرفي: عبده الراجحي، بيروت (لبنان): دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1973م.

(23) التطوّر اللّغوي التاريخي، إبراهيم السمرائي، بيروت (لبنان): دار الأندلس، د ت.

(24) التواصل والاتصال: مختار محمد فؤاد، المجلة الجزائرية للاتصال –الجزائرية– معهد علوم الإعلام، العدد 8، 1992م.

(25) الجغرافية اللسانية في التراث اللغوي العربي: عبد الجليل مرتاض، دار الغرب للنشر والتوزيع، د ت.

(26) الخصائص الصوتية في لهجة الإمارات العربية، دراسة لغوية ميدانية: أحمد عبد الرحمان حماد، دار المعرفة الجامعية، دار سوتر الإسكندرية، د ط، د ت

(27) الخفة والسهولة في الحدث اللساني – دراسة تركيبية للبنية اللغوية – ، عبد الحليم بن عيسى، أطروحة جامعية لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تلمسان 2004م.

(28) دراسة الصوت اللغوي: مختار عمر أحمد، القاهرة: عالم الكتب، ط3، 1985م.

(29) دراسة في الساميات واللهجات العربية القديمة: مرتاض عبد الجليل، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 1987م.

(1) دروس في علم الأصوات العربية: جان كنتينو، نقله إلى العربية وذيله بمعجم صوتي فرنسي ت عربي: صالح القرمادي، نشريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، 1966م.

(30) دفاعا عن اللّغة العربية: كمال يوسف الحاج، منشورات عويدات، ط1، 1959م.

(31) دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1963م.

(32) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: محمود حمدي زقزوق، دار المعارف، القاهرة، 1997م.

(33) الاستشراق في السيرة النبوية: عبدالله محمد الأمين، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة،1997م.

(34) شذا العرف في فن الصّرف: أحمد الحملاوي، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1967م.

(35) ضحى الإسلام: أحمد أمين، بيروت (لبنان): دار الكتاب العربي ط10، 1435هـ.

(36) العصر الجاهلي: شوقي ضيف، ط22، دار المعارف.

(37) علم الدّلالة: أحمد عمر مختار، القاهرة: عالم الكتب، ط2، 1988م.

(38) علم الدّلالة والمعجم العربي: جماعة من الأساتذة، عمان (الأردن): دار الفكر والنشر والتوزيع، ط1، 1989م.

(39) علم اللغة بين التراث والمعاصرة، مدكور عاطف، كلية الآداب جامعة القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع 1987م.

(40) علم اللّغة العام: توفيق محمد شاهين، القاهرة (مصر): مكتبة وهبة، ط2، 1414هـ، 1992م.

(41) عنف اللّغة، جان جاك لوسركل، ترجمة وتقديم محمد بدوي، مراجعة سعد مصلوح، لسانيات ومعاجم بيروت المنظمة العالمية للترجمة، 2005م.

(42) فقه اللغة العربية، علي عبد الواحد وافي، بيروت (لبنان): دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1972م.

فلسفة اللّغة العربية، عثمان أمين، د.ط، د.ت.

(43) في الأدب الجاهلي: طه حسين، دار المعارف، 1952م.

(44) في اللهجات العربية: أنيس إبراهيم، مطبعة الرسالة، د.ط، د.ت. وط2، القاهرة : مطبعة لجان البيان العربي 1952م.

(45) اللغة بين المعيارية والوصفية: تمام حسان، الدار البيضاء (المغرب): دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1980م.

(46) اللّغة العربية: مبناها ومعناها، تمام حسان، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979م.

(47) لغة القرآن دراسة توثيقية فنية: أحمد مختار عمر، ط1، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، 1993م.

(48) اللغة والحياة والطبيعة البشرية: روي جهمان roy si haugman، ترجمة داود حلمي، وأحمد السيّد، الكويت، 1989م.

(49) اللهجات العربية نشأة وتطورًا: عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبة، ط2، 1993م.

(50) اللهجات وأسلوب دراستها: أنيس فرحية، بيروت (لبنان) : دار الجبل، ط1، 1989م.

(51) مباحث في علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي، نور الهدى لوشن، المكتبة الجامعية الأزاريطة الإسكندرية، 2000م.

(52) مدخل إلى علم الدلالة: سالم شاكر، ترجمة بحياتين، بن عكنون (الجزائر)، ديوان المطبوعات الجامعية، د ت.

(53) مدخل في اللّسانيات، صالح الكشو، الدار العربية للكتاب، 1985م.

(54) محاضرات في الألسنية العامة: فاردنان دي سوسير، ترجمة يوسف غازي، مجيد النصر، دط، الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986م.

(56) المستشرقون البريطانيون: ا. ج آربري، تعريب محمد الدسوقي النويهي، لندن: وليم كولينز، 1946م.

(57) مستقبل اللّغة العربية المشتركة: إبراهيم أنيس، القاهرة : دط، 1956م.

(58) معالم التطوّر في اللّغة العربية وآدابها، محمد خلف الله أحمد، القاهرة، 1961م.

(59) المنهج الصوتي للبنية العربية، عبد الصابور شاهين، بيروت (لبنان): مؤسسة الرسالة، دط، 1406هـ 1980م.

(60) مناهج البحث في اللّغة، تمام حسان، القاهرة، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب 1979، 1400هـ-1979م.

(61) نحو عربية ميسّرة، أنيس فريحة، بيروت (لبنان)، الدار الثّقافية، 1955م.

(62) نقد الخطاب الاستشراقي: ساسي سالم الحاج، ج1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002م.

(63) وحي القلم: مصطفى صادق الرافعي، الجزائر: منشورات المونم، 1991م.

المعاجم

لسان العرب: محمد مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت

الرسائل

مصطلحات الدراسة الصوتية في التراث العربي ابن مالك آمنة، (الجزائر) رسالة دكتوراه دولة في فقه اللغة جامعة الجزائر، 1987م.

الكتب المترجمة

(1) الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية في تراث الإسلام: مكسيم رودنسون، (القسم الأول) تصنيف شاخت وبوزورث، ترجمة محمد زهير السمهوري، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1398هـ-/1978م.

(2) النقد والحقيقة: رولان بارت، ترجمة إبراهيم الخطيب، المغرب: الشركة المغربية للناشرين المحدثين، ط1، 1985م.

(3) اللّغة: فندريس تعريب الدواخلي، والقصاص، القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، 1972م.